ويعلم ما تكتمون) أى إن الله يعلم الغيب جميعه ويعلم مايظهره العباد ومايسرون ، يعلم الظواهر والضمائر ويعلم السر وأخفى ويعلم ما العباد عاملون فى أجهارهم وأسرارهم وسيجزيهم على ذلك القليل والجليل . وقوله (وإن أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين) أى وما أدرى لعل هذا فتنة لكم ومتاع إلى حين قال ابن جرير لعل تأخير ذلك عنكم فتنة لكم ومتاع إلى أجل مسمى وحكاه عون عن ابن عباس فالله أعلم (قال رب احكم بالحق) أى افصل بيننا وبين قومنا المكذبين بالحق . قال قتادة كانت الأنبياء عليهم السلام يقولون (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين) وأمر رسول الله ﷺ أن يقول ذلك ، وعن مالك عن زيد بن أسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا شهد غزاة قال (رب احكم بالحق) وقوله (وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون) أى على مايقولون ويفترون من الكذب ويتنوعون فى مقامات التكذيب والإفك والله المستعان عليكم فى ذلك . آخر تفسير سورة الأنبياء عليهم السلام ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة الحج ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾

يقول تعالى آمرا عباده بتقواه ومخبرا لهم بمايستقبلون من أهوال يوم القيامة وزلازلها وأحوالها ، وقد اختلف المفسرون فى زلزلة الساعة ، هل هى بعد قيام الناس من قبورهم يوم نشورهم إلى عرصات القيامة أو ذلك عبارة عن زلزلة الأرض قبل قيام الناس من أجداثهم كما قال تعالى (إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها) وقال تعالى (وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ، فيومئذ وقعت الواقعة) الآية ، وقال تعالى (إذا رجت الأرض رجا ، وبست الجبال بسا) الآية فقال قائلون هذه الزلزلة كائنة فى آخر عمر الدنيا وأول أحوال الساعة ، وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا يحيى حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة فى قوله (إن زلزلة الساعة شىء عظيم) قال قبل الساعة ، ورواه ابن أبى حاتم من حديث الثورى عن منصور والأعمش عن إبراهيم عن علقمة فذكره ، قال وروى عن الشعبى وإبراهيم وعبيد بن عمير نحو ذلك وقال أبو كدينة عن عطاء عن عامر الشعبى (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم) قال هذا فى الدنيا قبل يوم القيامة ، وقد أورد الإمام أبو جعفر بن جرير مستند من قال ذلك فى حديث الصور من رواية إسماعيل بن رافع قاضى أهل المدينة عن يزيد بن أبى زياد عن رجل من الأنصار عن محمد بن كعب القرظى عن رجل عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر » قال أبو هريرة يارسول الله وما الصور ؟ قال قرن قال فكيف هو ؟ قال « قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات الأولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول انفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات وأهل الأرض إلا من شاء الله ويأمره فيمدها ويطولها ولا يفتر وهى التى يقول الله تعالى (وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة مالها من فواق) فتسير الجبال فتكون ترابا وترج الأرض بأهلها رجا وهى التى يقول الله تعالى (يوم ترجف الراجفة ، تتبعها الرادفة ، قلوب يومئذ واجفة) فتكون الأرض كالسفينة الموبقة فى البحر تضربها الأمواج تكفؤها بأهلها وكالقنديل المعلق بالعرش ترجحه الأرواح فيمتد الناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل ويشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة حتى تأتى الأقطار فتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع ويولى الناس مدبرين ينادى بعضهم بعضا وهى التى يقول الله تعالى (يوم التناد يوم تولون مدبرين مالكم من

الله من عاصم ومن يضلل الله فماله من هاد) فبينما هم على ذلك إذا نصدعت الأرض من قطر إلى قطر ورأوا أمرا عظيما فأخذهم لذلك من الكرب ما الله أعلم به ثم نظروا إلى السماء فإذا هى كالمهل ، ثم خسف شمسها وقمرها وانتثرت نجومها ثم كشطت عنهم — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — والأموات لا يعلمون بشىء من ذلك » قال أبو هريره فمن استثنى الله حين يقول (ففزع من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله) قال « أولئك الشهداء وإنما يصل الفزع إلى الأحياء أولئك أحياء عند ربهم يرزقون ووقاهم الله شر ذلك اليوم وآمنهم وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه وهو الذى يقول الله (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) » وهذا الحديث قد رواه الطبرانى وابن جرير وابن أبى حاتم وغير واحد مطولا جدا والغرض منه أنه دل على أن هذه الزلزلة كائنة قبل يوم الساعة أضيفت إلى الساعة لقربها منها كما يقال أشراط الساعة ونحو ذلك والله أعلم ، وقال آخرون بل ذلك هول وفزع وزلزال وبلبال كائن يوم القيامة فى العرصات بعد القيام من القبور واختار ذلك ابن جرير واحتجوا بأحاديث : ﴿ الأول ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا يحيى عن هشام حدثنا قتادة عن الحسن عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال وهو فى بعض أسفاره وقد تقارب من أصحاب السير رفع بهاتين الآيتين صوته : (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) فلما سمع أصحابه بذلك حثوا المطى وعرفوا أنه عند قول يقوله فلما دنوا حوله قال « أتدرون أى يوم ذاك ، ذاك يوم ينادى آدم عليه السلام فيناديه ربه عز وجل فيقول يا آدم ابعث بعثك إلى النار فيقول يارب وما بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فى النار وواحد فى الجنة » قال فأبلس أصحابه حتى ما أوضحوا أيضا حكمه فلما رأى ذلك قال « أبشروا واعملوا فوالذى نفس محمد بيده إنكم لمع خليقتين ما كانتا مع شىء قط إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج ومن هلك من بنى آدم وبنى إبليس » قال فسرى عنهم ثم قال « اعملوا وأبشروا فوالذى نفس محمد بيده ما أنتم فى الناس إلا كالشامة فى جنب البعير أو الرقمة فى ذراع الدابة » وهكذا رواه الترمذى والنسائى فى كتاب التفسير من سننيهما عن محمد بن بشار عن يحيى وهو القطان عن هشام وهو الدستوائى عن قتادة به بنحوه وقال الترمذى حسن صحيح

(طريق آخر) لهذا الحديث : قال الترمذى حدثنا ابن أبى عمر حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا ابن جدعان عن الحسن عن عمران بن حصين أن النبى ﷺ قال لما نزلت (يا أيها الناس اتقوا ربكم — إلى قوله — ولكن عذاب الله شديد) قال نزلت عليه هذه الآية وهو فى سفر فقال « أتدرون أى يوم ذلك ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال — ذلك يوم يقول الله لآدم ابعث بعث النار قال يارب وما بعث النار قال تسعمائة وتسعة ونسعون إلى النار وواحد إلى الجنة » فأنشأ المسلمون يبكون فقال رسول الله ﷺ « قاربوا وسددوا فإنها لم تكن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية قال فيؤخذ العدد من الجاهلية فإن تمت وإلا كملت من المنافقين ، ومامثلكم ومثل الأمم إلا كمثل الرقمة فى ذراع الدابة أو كالشامة فى جنب البعير — ثم قال — إنى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة — فكبروا ثم قال — إنى لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة — فكبروا ثم قال — إنى لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة » فكبروا ثم قال ولا أدرى أقال الثلثين أم لا وكذا رواه الإمام أحمد عن سفيان بن عيينة به ثم قال الترمذى أيضا هذا حديث صحيح وقد روى عن عروة عن الحسن عن عمران بن الحصين وقد رواه ابن أبى حاتم من حديث سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن الحسن والعلاء بن زياد العدوى عن عمران بن الحصين فذكره وهكذا روى ابن جرير عن بندار عن غندر عن عوف عن الحسن قال بلغنى أن رسول الله ﷺ لما قفل من غزوة العسرة ومعه أصحابه بعد ما شارف المدينة قرأ (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم) وذكر الحديث فذكر نحو سياق ابن جدعان والله أعلم ، ﴿ الحديث الثانى ﴾ قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن الطباع حدثنا أبو سفيان يعنى المعمرى عن معمر عن قتادة عن أنس قال نزلت (إن زلزلة الساعة شىء عظيم) وذكر يعنى نحو سياق الحسن عن عمران غير أنه قال ومن هلك من كثرة الجن والإنس ،

ورواه ابن جرير بطوله من حديث معمر ﴿ الحديث الثالث ﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد يعني ابن العوام حدثنا هلال بن حباب عن عكرمة عن ابن عباس قال : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية فذكر نحوه ، وقال فيه « إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة ـ ثم قال ـ إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة ـ ثم قال ـ إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة » ففرحوا وزاد أيضاً « وإنما أنتم جزء من ألف جزء » ﴿ الحديث الرابع ﴾ قال البخاري عند تفسير هذه الآية : حدثنا عمر بن حفص حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا أبو صالح عن أبي سعيد قال : قال النبي ﷺ « يقول الله تعالى يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك ربنا وسعديك فينادى بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار قال يا رب وما بعث النار قال من كل ألف ـ أراه قال ـ تسعمائة وتسعة وتسعون فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد (وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) » فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم. قال النبي ﷺ « من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة ـ فكبرنا ثم قال ـ ثلث أهل الجنة ـ فكبرنا ثم قال ـ شطر أهل الجنة » فكبرنا وقد رواه البخاري أيضا في غير هذا الموضع ومسلم والنسائي في تفسيره من طرق عن الأعمش به .

﴿ الحديث الخامس ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا عمارة بن محمد ابن أخت سفيان الثوري وعبيدة العمي كلاهما عن إبراهيم ابن مسلم عن أبي الأحوص عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يبعث يوم القيامة مناديا يا آدم إن الله يأمرك أن تبعث بعثاً من ذريتك إلى النار فيقول آدم يارب من هم فيقال له من كل مائة تسعة وتسعون » فقال رجل من القوم من هذا الناجي منا بعد هذا يارسول الله قال « هل تدرون ما أنتم في الناس إلا كالشامة في صدر البغير » انفرد بهذا السند وهذا السياق الإمام أحمد

﴿ الحديث السادس ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا يحيى عن حاتم بن أبي صفيرة حدثنا ابن أبي مليكة أن القاسم بن محمد أخبره عن عائشة عن النبي ﷺ قال « إنكم تحشرون إلى الله يوم القيامة حفاة عراة غرلا » قالت عائشة يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض قال ياعائشة إن الأمر أشد من أن يهمهم ذاك » أخرجاه في الصحيحين ﴿ الحديث السابع ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحق حدثنا ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت: قلت يا رسول الله هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة ؟ قال « يا عائشة أما عند ثلاث فلا أما عند الميزان حتى يثقل أو يخف فلا ، وأما عند تطاير الكتب إما يعطى بيمينه وإما يعطى بشماله فلا ، وحين يخرج عنق من النار فيطوى عليهم ويتغيظ عليهم ويقول ذلك العنق : وكلت بثلاثة ، وكلت بثلاثة ، وكلت بثلاثة ، وكلت بمن ادعى مع الله إلها آخر ، ووكلت بمن لا يؤمن بيوم الحساب ، ووكلت بكل جبار عنيد ـ قال ـ فينطوى عليهم ويرميهم في غمرات جهنم ولجهنم جسر أرق من الشعر وأحد من السيف عليه كلاليب وحسك يأخذان من شاء الله ، والناس عليه كالبرق وكالطرف وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب والملائكة يقولون : يا رب سلم ، سلم . فناج مسلم ومخدوش مسلم ، ومكور في النار على وجهه » والأحاديث في أهوال يوم القيامة والآثار كثيرة جداً لها موضع آخر ولهذا قال تعالى (إن زلزلة الساعة شيء عظيم) أي أمر عظيم ، وخطب جليل ، وطارق مفظع ، وحادث هائل ، وكائن عجيب ، والزلزال هو ما يحصل للنفوس من الرعب والفزع كما قال تعالى (هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا) ثم قال تعالى (يوم ترونها) هذا من باب ضمير الشأن ولهذا قال مفسراً له (تذهل كل مرضعة عما أرضعت) أي فتشتغل لهول ما ترى عن أحب الناس إليها والتي هي أشفق الناس عليه تدهش عنه في حال إرضاعها له ولهذا قال (كل مرضعة) ولم يقل مرضع وقال (عما أرضعت) أي عن رضيعها فطامه ، وقوله (وتضع كل ذات حمل حملها) أي قبل تمامه لشدة الهول (وترى الناس سكارى) وقرئ (سكرى) أي من شدة الأمر الذي قد صاروا فيه قد دهشت عقولهم ، وغابت أذهانهم فمن رآهم حسب أنهم سكارى (وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد)

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ * كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾

يقول تعالى ذاماً لمن كذب بالبعث وأنكر قدرة الله على إحياء الموتى معرضا عما أنزل الله على أنبيائه متبعاً فى قوله وإنكاره وكفره كل شيطان مريد من الإنس والجن وهذا حال أهل البدع والضلال المعرضين عن الحق المتبعين للباطل يتركون ما أنزله الله على رسوله من الحق المبين ، ويتبعون أقوال رؤوس الضلالة الدعاة إلى البدع بالأهواء والآراء ولهذا قال فى شأنهم وأشباههم (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم) أى علم صحيح (ويتبع كل شيطان مريد ، كتب عليه) قال مجاهد يعنى الشيطان يعنى كتب عليه كتابة قدرية (أنه من تولاه) أى اتبعه وقلده (فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير) أى يضله فى الدنيا ويقوده فى الآخرة إلى عذاب السعير وهو الحار المؤلم المقلق ، المزعج وقد قال السدى عن أبى مالك نزلت هذه الآية فى النضر بن الحارث وكذلك قال ابن جريج . وقال ابن أبى حاتم حدثنا عمرو بن مسلم البصرى حدثنا أبو قتادة حدثنا المعتمر حدثنا أبو كعب المكى قال: قال خبيث من خبثاء قريش أخبرنا عن ربكم من ذهب هو أو من فضة هو أو من نحاس هو ؟ فتقعقعت السماء قعقعة ـ والقعقعة فى كلام العرب الرعد ـ فإذا قحف رأسه ساقط بين يديه ، وقال ليث بن أبى سليم عن مجاهد : جاء يهودى فقال يا محمد أخبرنى عن ربك من أى شىء هو من در أم من يا قوت ؟ قال فجاءت صاعقة فأخذته

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ * ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾

لما ذكر تعالى المخالف للبعث المنكر للمعاد ذكر تعالى الدليل على قدرته تعالى على المعاد بما يشاهد من بدئه للخلق فقال (يا أيها الناس إن كنتم فى ريب) أى فى شك (من البعث) وهو المعاد ، وقيام الارواح والاجساد ، يوم القيامة (فانا خلقناكم من تراب) أى أصل برئه لكم من تراب وهو الذى خلق منه آدم عليه السلام (ثم من نطفة) أى ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين (ثم من علقة ثم مضغة) وذلك أنه إذا استقرت النطفة فى رحم المرأة مكثت أربعين يوما كذلك يضاف إليه ما يجتمع إليها ثم تنقلب علقة حمراء بإذن الله فتمكث كذلك أربعين يوما ثم تستحيل فتصير مضغة قطعة من لحم لا شكل فيها ولا تخطيط ثم يشرع فى التشكيل والتخطيط فيصور منها رأس ويدان وصدر وبطن وفخذان ورجلان وسائر الأعضاء ، فتارة تسقطها المرأة قبل التشكيل والتخطيط وتارة تلقيها وقد صارت ذات شكل وتخطيط ولهذا قال تعالى (ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة) أى كما تشاهدونها (لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى) أى وتارة تستقر فى الرحم لا تلقيها المرأة ولا تسقطها كما قال مجاهد فى قوله تعالى (مخلقة وغير مخلقة) قال هو السقط مخلوق وغير مخلوق فإذا مضى عليها أربعون يوما وهى مضغة أرسل الله تعالى ملكا إليها فنفخ فيها الروح وسواها كما يشاء الله عز وجل من حسن وقبح وذكر وأنثى وكتب رزقها وأجلها وشقى أو سعيد كما ثبت فى الصحيحين من حديث الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق

« إن خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين ليلة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقى أوسعيد ثم ينفخ فيه الروح »

وروى ابن أبى حاتم وابن جرير من حديث داود بن أبى هند عن الشعبى عن علقمة عن عبد الله قال : النطفة إذا استقرت فى الرحم جاءها ملك بكفه فقال يارب مخلقة أو غير مخلقة فإن قيل غير مخلقة لم تكن نسمة وقذفتها الأرحام دما وإن قيل مخلقة قال أى رب ذكر أو أنثى شقى أو سعيد ما الأجل وما الأثر وبأى أرض يموت . قال فيقال للنطفة من ربك ؟ فتقول الله فيقال من رازقك ؟ فتقول الله فيقال له اذهب إلى الكتاب فانك ستجد فيه قصة هذه النطفة قال فتخلق فتعيش فى أجلها وتأكل رزقها وتطأ أثرها حتى إذا جاء أجلها ماتت فدفنت فى ذلك ثم تلا عامر الشعبى (يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة) فإذا بلغت مضغة نكست فى الخلق الرابع فكانت نسمة وإن كانت غير مخلقة قذفتها الأرحام دما وإن كانت مخلقة نكست نسمة . وقال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرى حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن أبى الطفيل عن حذيفة بن أسيد يبلغ به النبى صلى الله عليه وسلم قال « يدخل الملك على النطفة بعد ماتستقر فى الرحم بأربعين يوما أو خمس وأربعين فيقول أى رب أشقى أم سعيد فيقول الله ويكتبان فيقول أذكر أم أنثى فيقول الله ويكتبان ويكتب عمله وأثره ورزقه وأجله ثم تطوى الصحف فلا يزاد على مافيها ولا ينتقص » ورواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة ومن طريق آخر عن أبى الطفيل بنحو معناه . وقوله (ثم نخرجكم طفلا) أى ضعيفا فى بدنه وسمعه وبصره وحواسه وبطشه وعقله ثم يعطيه الله القوة شيئا فشيئا ويلطف به ويحنن عليه والديه فى آناء الليل وأطراف النهار ولهذا قال (ثم لتبلغوا أشدكم) أى يتكامل القوى ويتزايد ويصل إلى عنفوان الشباب وحسن المنظر (ومنكم من يتوفى) أى فى حال شبابه وقواه (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) وهو الشيخوخة والهرم وضعف القوة والعقل والفهم وتناقص الأحوال من الخرف وضعف الفكر ولهذا قال (لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) كما قال تعالى (الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق مايشاء وهو العليم القدير) وقد قال الحافظ أبو يعلى أحمد بن على بن المثنى الموصلى فى مسنده حدثنا منصور بن أبى مزاحم حدثنا خالد الزيات حدثنى داود أبو سليمان عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم الأنصارى عن أنس بن مالك رفع الحديث قال « المولود حتى يبلغ الحنث ماعمل من حسنة كتبت لوالده أولوالديه وما عمل من سيئة لم تكتب عليه ولا على والديه فاذا بلغ الحنث أجرى الله عليه القلم أمر الملكان اللذان كانا معه أن يحفظا وأن يشددا فاذا بلغ أربعين سنة فى الإسلام أمنه الله من البلايا الثلاث : الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ الخمسين خفف الله حسابه فاذا بلغ ستين رزقه الله الانابة إليه بما يحب فاذا بلغ السبعين أحبه أهل السماء فاذا بلغ الثمانين كتب الله حسناته وتجاوز عن سيئاته فاذا بلغ التسعين غفر الله له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وشفعه فى أهل بيته وكتب أمين الله وكان أسير الله فى أرضه فاذا بلغ أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا كتب الله له مثل ما كان يعمل فى صحته من الخير فاذا عمل سيئة لم تكتب عليه » هذا حديث غريب جدا وفيه نكارة شديدة ومع هذا قد رواه الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده موقوفا ومرفوعا فقال : حدثنا أبو النضر حدثنا الفرج حدثنا محمد بن عامر عن محمد بن عبد الله العاملى عن عمرو ابن جعفر عن أنس قال : إذا بلغ الرجل المسلم أربعين سنة أمنه الله من أنواع البلايا من الجنون والبرص والجذام . فاذا بلغ الخمسين لين الله حسابه ، وإذا بلغ الستين رزقه الله إنابة يحبه عليها . وإذا بلغ السبعين أحبه الله وأحبه أهل السماء ، وإذا بلغ الثمانين تقبل الله حسناته ومحا عنه سيئاته وإذا بلغ التسعين غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر وسمى أسير الله فى أرضه وشفع فى أهله » ثم قال حدثنا هشام حدثنا الفرج حدثنى محمد بن عبد الله العامرى عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان عن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله ، ورواه الإمام أحمد أيضا حدثنا أنس بن عياض حدثنى يوسف بن أبى بردة الأنصارى عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمرى عن

أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مامن معمر يعمر فى الإسلام أربعين سنة إلا صرف الله عنه ثلاثة أنواع من البلاء : الجنون والبرص والجذام » وذكر تمام الحديث كما تقدم سواء ورواه الحافظ أبو بكر البزار عن عبد الله بن شبيب عن أبى شيبة عن عبد الله بن عبد الملك عن أبى قتادة العدوى عن ابن أخى الزهرى عن عمه عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن عبد يعمر فى الإسلام أربعين سنة إلا صرف الله عنه أنواعا من البلاء : الجنون والجذام والبرص فإذا بلغ خمسين سنة لين الله له الحساب فإذا بلغ ستين سنة رزقه الله الانابة إليه بما يحب فاذا بلغ سبعين سنة غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر وسمى أسير الله وأحبه أهل السماء فاذا بلغ الثمانين تقبل الله منه حسناته وتجاوز عن سيئاته فاذا بلغ التسعين غفر الله له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وسمى أسير الله فى أرضه وشفع فى أهل بيته »

وقوله (وترى الأرض هامدة) هذا دليل آخر على قدرته تعالى على إحياء الموتى كما يحيى الأرض الميتة الهامدة وهى المقحلة التى لاينبت فيها شىء . وقال قتادة غبراء متهشمة . وقال السدى ميتة (فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) أى فإذا أنزل الله عليها المطر اهتزت أى تحركت بالنبات وحييت بعد موتها وربت أى ارتفعت لما سكن فيها الثرى ثم أنبتت مافيها من الألوان والفنون من ثمار وزروع وأشتات النبات فى اختلاف ألوانها وطعومها وروائحها وأشكالها ومنافعها ولهذا قال تعالى (وأنبتت من كل زوج بهيج) أى حسن المنظر طيب الريح . وقوله (ذلك بأن الله هو الحق) أى الخالق المدبر الفعال لما يشاء (وأنه يحيى الموتى) أى كما أحيا الأرض الميتة وأنبت منها هذه الأنواع (إن الذى أحياها لمحيى الموتى إنه على كل شىء قدير) (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) (وأن الساعة آتية لاريب فيها) أى كائنة لا شك فيها ولامرية (وأن الله يبعث من فى القبور) أى يعيدهم بعد ماصاروا فى قبورهم رمما ويوجدهم بعد العدم كما قال تعالى (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم ؟ قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل شىء عليم ، الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون) والآيات فى هذا كثيرة . وقال الإمام أحمد حدثنا بهز حدثنا حماد بن سلمة قال أنبأنا يعلى بن عطاء عن وكيع بن عدى عن عمه أبى رزين العقيلى واسمه لقيط بن عامر أنه قال يارسول الله أكلنا يرى ربه عزوجل يوم القيامة وما آية ذلك فى خلقه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أليس كلكم ينظر إلى القمر مخليا به ؟ » قلنا بلى ، قال « فالله أعظم » قال : قلت يارسول الله كيف يحيى الله الموتى وما آية ذلك فى خلقه ؟ قال « أما مررت بوادى أهلك ممحلا ؟ » قال بلى قال « ثم مررت به يهتز خضراً » قال بلى قال « فكذلك يحيى الله الموتى وذلك آيته فى خلقه » ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث حماد بن سلمة به ثم رواه الإمام أحمد أيضا حدثنا على بن إسحق أنبأنا ابن المبارك أنبأنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن سليمان بن موسى عن أبى رزين العقيلى قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله كيف يحيى الله الموتى ؟ قال « أمررت بأرض من أرض قومك مجدبة ثم مررت بها مخصبة ؟ » قال نعم قال « كذلك النشور » والله أعلم . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عيسى بن مرحوم حدثنا بكير بن السميط عن قتادة عن أبى الحجاج عن معاذ بن جبل قال : من علم أن الله هو الحق المبين ، وأن الساعة آتية لاريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور دخل الجنة

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ * ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ * ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾

لما ذكر تعالى حال الضلال الجهال المقلدين فى قوله (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم و يتبع كل شيطان مريد) ذكر فى هذه حال الدعاة إلى الضلالة من رءوس الكفر والبدع فقال (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) أى بلا عقل صحيح ، ولا نقل صريح ، بل بمجرد الرأى والهوى ، وقوله (ثانى عطفه) قال ابن عباس

وغيره مستكبر عن الحق إذا دعى إليه ، وقال مجاهد وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم (ثانى عطفه) أى لاوى عطفه وهى رقبته يعنى يعرض عما يدعى إليه من الحق ويثنى رقبته استكباراً كقوله تعالى (وفى موسى إذأرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين فتولى بركنه) الآية وقال تعالى (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً) وقال تعالى (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون) وقال لقمان لابنه (ولا تصعر خدك للناس) أى تميله عنهم استكباراً عليهم ، وقال تعالى (وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً) الآية . وقوله (ليضل عن سبيل الله) قال بعضهم هذه لام العاقبة لأنه قد لايقصد ذلك ، ويحتمل أن تكون لام التعليل . ثم إما أن يكون المراد بها المعاندون أويكون المراد بها أن هذا الفاعل لهذا إنما جبلناه على هذا الخلق الدنىء لنجعله ممن يضل عن سبيل الله . ثم قال تعالى (له فى الدنيا خزى) وهو الاهانة والذل كما أنه لما استكبر عن آيات الله لقاه الله المذلة فى الدنيا وعاقبه فيها قبل الآخرة لأنها أكبر همه ومبلغ علمه (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق. ذلك بما قدمت يداك) أى يقال له هذا تقريعاً وتوبيخاً (وأن الله ليس بظلام للعبيد) كقوله تعالى (خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم * ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم * ذق إنك أنت العزيز الكريم * إن هذا ما كنتم به تمترون). وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أحمد بن الصباح حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا هشام عن الحسن قال بلغنى أن أحدهم يحرق فى اليوم سبعين ألف مرة

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ * يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ * يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾

قال مجاهد وقتادة وغيرهما (على حرف) على شك وقال غيرهم على طرف ومنه حرف الجبل أى طرفه أى دخل فى الدين على طرف فان وجد ما يحبه استقر وإلا انشمر . وقال البخارى حدثنا إبراهيم بن الحارث حدثنا يحيى بن أبى بكير حدثنا إسرائيل عن أبى الحصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (ومن الناس من يعبد الله على حرف) قال كان الرجل يقدم المدينة فان ولدت امرأته غلاما ونتجت خيله قال هذا دين صالح . وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال هذا دين سوء وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثنى أبى عن أبيه عن أشعث بن إسحاق القمى عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان ناس من الأعراب يأتون النبى صلى الله عليه وسلم فيسلمون فإذا رجعوا إلى بلادهم فان وجدوا عام غيث وعام خصب وعام ولاد حسن قالوا إن ديننا هذا لصالح فتمسكوا به وإن وجدوا عام جدوبة وعام ولاد سوء وعام قحط قالوا مافى ديننا هذا خير فأنزل الله على نبيه (ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به) الآية . وقال العوفى عن ابن عباس : كان أحدهم إذا قدم المدينة وهم أرض دونه فان صح بها جسمه ونتجت فرسه مهراً حسنا وولدت امرأته غلاماً رضى به واطمأن إليه وقال ما أصبت منذ كنت على دينى هذا إلا خيرا وإن أصابته فتنة والفتنة البلاء أى وإن أصابه وجع المدينة وولدت امرأته جارية وتأخرت عنه الصدقة أتاه الشيطان فقال والله ما أصبت منذ كنت على دينك هذا إلا شراً ، وذلك الفتنة ، وهكذا ذكر قتادة والضحاك وابن جريج وغير واحد من السلف فى تفسير هذه الآية وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هو المنافق إن صلحت له دنياه أقام على العبادة وإن فسدت عليه دنياه وتغيرت انقلب فلا يقيم على العبادة إلا لما صلح من دنياه فان أصابته فتنة أوشدة أو اختبار أوضيق ترك دينه ورجع إلى الكفر ، وقال مجاهد فى قوله (انقلب على وجهه) أى ارتد كافراً وقوله (خسر الدنيا والآخرة) أى فلا هو حصل من الدنيا على شىء وأما الآخرة فقد كفر بالله العظيم فهو فيها فى غاية الشقاء والاهانه ، ولهذا قال تعالى (ذلك هو الخسران المبين) أى هذه هى الخسارة العظيمة والصفقة الخاسرة وقوله

(يدعو من دون الله مالا يضره ومالا ينفعه) أى من الأصنام والأنداد يستغيث بها ويستنصرها ويسترزقها وهى لاتنفعه ولا تضره (ذلك هو الضلال البعيد) ، وقوله (يدعو لمن ضره أقرب من نفعه) أى ضرره فى الدنيا قبل الآخرة أقرب من نفعه فيها وأما فى الآخرة فضرره محقق متيقن وقوله (لبئس المولى ولبئس العشير) قال مجاهد يعنى الوثن يعنى بئس هـذا الذى دعاه من دون الله مولى يعنى ولياً وناصراً (وبئس العشير) وهو المخالط والمعاشر واختار ابن جرير أن المراد لبئس ابن العم والصاحب (من يعبد على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه) وقول مجاهد إن المراد به الوثن أولى وأقرب إلى سياق الكلام والله أعلم

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾

لما ذكر أهل الضلالة الأشقياء عطف بذكر الأبرار السعداء من الذين آمنوا بقلوبهم وصدقوا إيمانهم بأفعالهم فعملوا الصالحات من جميع أنواع القربات وتركوا المنكرات فأورثهم ذلك سكنى الدرجات العاليات فى روضات الجنات ، ولما ذكر تعالى أنه أضل أولئك وهدى هؤلاء قال (إن الله يفعل مايريد)

﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ * وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴾

قال ابن عباس من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً صلى الله عليه وسلم فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب أى بحبل (إلى السماء) أى سماء بيته (ثم ليقطع) يقول ثم ليختنق به وكذا قال مجاهد وعكرمة وعطاء وأبو الجوزاء وقتادة وغيرهم ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (فليمدد بسبب إلى السماء) أى ليتوصل إلى بلوغ السماء فان النصر إنما يأتى محمداً من السماء (ثم ليقطع) ذلك عنه إن قدر على ذلك وقول ابن عباس وأصحابه أولى وأظهر فى المعنى وأبلغ فى التهكم فان المعنى من كان يظن أن الله ليس بناصر محمداً وكتابه ودينه فليذهب فليقتل نفسه إن كان ذلك غائظه فان الله ناصره لامحالة قال الله تعالى (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) الآية ولهذا قال (فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ) قال السدى يعنى من شأن محمد صلى الله عليه وسلم وقال عطاء الخراسانى فلينظر هل يشفى ذلك مايجد فى صدره من الغيظ وقوله (وكذلك أنزلناه) أى القرآن (آيات بينات) أى واضحات فى لفظها ومعناها حجة من الله على الناس (وأن الله يهدى من يريد) أى يضل من يشاء ويهدى من يشاء وله الحكمة التامة والحجة القاطعة فى ذلك (لايسئل عما يفعل وهم يسئلون) أما هو فلحكمته ورحمته وعدله وعلمه وقهره وعظمته لامعقب لحكمه وهو سريع الحساب

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَٱلَّذِينَ هَادُوا وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾

يخبر تعالى عن أهل هذه الأديان المختلفة من المؤمنين ومن سواهم من اليهود والصابئين وقد قدمنا فى سورة البقرة التعريف بهم واختلاف الناس فيهم والنصارى والمجوس والذين أشركوا فعبدوا مع الله غيره فانه تعالى (يفصل بينهم يوم القيامة) ويحكم بينهم بالعدل فيدخل من آمن به الجنة ومن كفر به النار فانه تعالى شهيد على أفعالهم حفيظ لأقوالهم عليم بسرائرهم وما تكن ضمائرهم

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ

وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾

يخبر تعالى أنه المستحق للعبادة وحده لاشريك له فإنه يسجد لعظمته كل شيء طوعا وكرها وسجود كل شيء مما يختص به كما قال تعالى (أولم يروا إلى ماخلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داخرون) وقال ههنا (ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض) أى من الملائكة فى أقطار السموات والحيوانات فى جميع الجهات من الإنس والجن والدواب والطير (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) وقوله (والشمس والقمر والنجوم) إنما ذكر هذه على التنصيص لأنها قد عبدت من دون الله فبين أنها تسجد لخالقها وأنها مربوبة مسخرة (لاتسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن) الآية وفى الصحيحين عن أبى ذر رضى الله عنه قال لى : قال رسول الله ﷺ « أتدرى أين تذهب هذه الشمس ؟ » قلت الله ورسوله أعلم قال « فانها تذهب فتسجد تحت العرش ثم تستأمر فيوشك أن يقال لها ارجعى من حيث جئت » وفى المسند وسنن أبى داود والنسائى وابن ماجه فى حديث الكسوف « إن الشمس والقمر خلقان من خلق الله وإنهما لاينكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكن الله عزوجل إذا تجلى لشيء من خلقه خشع له » وقال أبو العالية مافى السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع لله ساجداً حين يغيب ثم لاينصرف حتى يؤذن له فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعه . وأما الجبال والشجر فسجودها بفيء ظلالها عن اليمين والشمائل وعن ابن عباس قال جاء رجل فقال يارسول الله إنى رأيتنى الليلة وأنا نائم كأنى أصلى خلف شجرة فسجدت فسجدت الشجرة لسجودى فسمعتها وهى تقول : اللهم اكتب لى بها عندك أجراً وضع عنى بها وزراً واجعلها لى عندك ذخراً وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود قال ابن عباس فقرأ رسول الله ﷺ سجدة ثم سجد فسمعته وهو يقول مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة . رواه الترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه ، وقوله (والدواب) أى الحيوانات كلها وقد جاء فى الحديث عن الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن اتخاذ ظهور الدواب منابر، فرب مركوبة خير أو أكثر ذكرا لله تعالى من راكبها وقوله (وكثير من الناس) أى يسجد لله طوعا مختاراً متعبداً بذلك (وكثير حق عليه العذاب) أى ممن امتنع وأبى واستكبر (ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل مايشاء) . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن شيبان الرملى حدثنا القداح عن جعفر بن محمد عن أبيه عن على قال قيل لعلى إن ههنا رجلا يتكلم فى المشيئة فقال له على ياعبدالله خلقك الله كما يشاء أو كما شئت قال بل كما شاء قال فيمرضك إذا شاء أو إذا شئت قال بل إذا شاء قال فيشفيك إذا شاء أو إذا شئت قال بل إذا شاء قال فيدخلك حيث شئت أو حيث شاء قال بل حيث يشاء قال والله لوقلت غير ذلك لضربت الذى فيه عيناك بالسيف ، وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إذا قرأ ابن آدم السجدة اعتزل الشيطان يبكى يقول ياويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلى النار » رواه مسلم. وقال الإمام أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم وأبو عبد الرحمن المقرى قالا: حدثنا ابن لهيعة، قال حدثنا مشرح بن هاعان أبو مصعب المعافرى قال سمعت عقبة بن عامر قال : قلت يارسول الله أفضلت سورة الحج على سائر القرآن بسجدتين قال « نعم فمن لم يسجد بهما فلا يقرأهما » ورواه أبو داود والترمذى من حديث عبدالله بن لهيعة به وقال الترمذى ليس بقوى وفى هذا نظر فان ابن لهيعة قد صرح فيه بالسماع وأكثر ماتقموا عليه تدليسه وقد قال أبو داود فى المراسيل حدثنا أحمد بن عمرو بن السرح أنبأنا ابن وهب أخبرنى معاوية بن صالح عن عامر بن جشب عن خالد بن معدان رحمه الله أن رسول الله ﷺ قال « فضلت سورة الحج على سائر القرآن بسجدتين » ثم قال أبو داود وقد أسند هذا يعنى من غير هذا الوجه ولا يصح ، وقال الحافظ أبو بكر الإسماعيلى حدثنى ابن أبى داود حدثنا يزيد بن عبدالله حدثنا الوليد حدثنا أبو عمرو حدثنا حفص بن غياث حدثنى نافع قال : حدثنى أبو الجهم أن عمر سجد سجدتين فى الحج وهو بالجابية وقال إن هذه فضلت بسجدتين ، وروى أبو داود وابن ماجه من حديث الحارث بن سعيد العتقى عن عبدالله بن منين عن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأه خمس عشرة

سجدة فى القرآن منها ثلاث فى المفصل وفى سورة الحج سجدتان ، فهذه شواهد يشد بعضها بعضا

﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾

ثبت الصحيحين من حديث أبى مجلز عن قيس بن عباد عن أبى ذر أنه كان يقسم قسما أن هذه الآية (هذان خصمان اختصموا فى ربهم) نزلت فى حمزة وصاحبيه وعتبة وصاحبيه يوم برزوا فى بدر . لفظ البخارى عند تفسيرها ، ثم قال البخارى حدثنا حجاج بن المنهال حدثنا المعتمر بن سليمان سمعت أبى حدثنا أبو مجلز عن قيس بن عباد عن على بن أبى طالب أنه قال : أنا أول من يجثو بين يدى الرحمن للخصومة يوم القيامة قال قيس : وفيهم نزلت (هذان خصمان اختصموا فى ربهم) قال هم الذين بارزوا يوم بدر على وحمزة وعبيدة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة . انفرد به البخارى

وقال سعيد بن أبى عروبة عن قتادة فى قوله (هذان خصمان اختصموا فى ربهم) قال اختصم المسلمون وأهل الكتاب فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن أولى بالله منكم ، وقال المسلمون كتابنا يقضى على الكتب كلها ونبينا خاتم الأنبياء فنحن أولى بالله منكم فأفلج الله الإسلام على من ناواه وأنزل (هذان خصمان اختصموا فى ربهم) وكذا روى العوفى عن ابن عباس ، وقال شعبة عن قتادة فى قوله (هذان خصمان اختصموا فى ربهم) قال مصدق ومكذب ، وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد فى هذه الآية مثل الكافر والمؤمن اختصما فى البعث ، وقال فى رواية هو وعطاء فى هذه الآية هم المؤمنون والكافرون ، وقال عكرمة (هذان خصمان اختصموا فى ربهم) قال هى الجنة والنار قالت النار اجعلنى للعقوبة وقالت الجنة اجعلنى للرحمة ، وقول مجاهد وعطاء إن المراد بهذه الكافرون والمؤمنون يشمل الأقوال كلها وينتظم فيه قصة يوم بدر وغيرها فان المؤمنين يريدون نصرة دين الله عز وجل والكافرون يريدون إطفاء نور الإيمان وخذلان الحق وظهور الباطل وهذا اختيار ابن جرير وهو حسن ولهذا قال (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار) أى فصلت لهم مقطعات من النار ، قال سعيد بن جبير من نحاس وهو أشد الأشياء حرارة إذا حمى (يصب من فوق رءوسهم الحميم * يصهر به ما فى بطونهم والجلود) أى إذا صب على رءوسهم الحميم وهو الماء الحار فى غاية الحرارة ، وقال سعيد بن جبير هو النحاس المذاب أذاب مافى بطونهم من الشحم والأمعاء قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم وكذلك تذوب جلودهم وقال ابن عباس وسعيد تساقط

وقال ابن جرير حدثنى محمد بن المثنى حدثنى إبراهيم أبو إسحق الطالقانى حدثنا ابن المبارك عن سعيد بن يزيد عن أبى السمح عن ابن حجيرة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الحميم ليصب على رءوسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه فيسلت مافى جوفه حتى يبلغ قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان » ورواه الترمذى من حديث ابن المبارك وقال حسن صحيح وهكذا رواه ابن أبى حاتم عن أبيه عن أبى نعيم عن ابن المبارك به ثم قال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا أحمد بن أبى الحوارى قال سمعت عبدالله بن السرى قال : يأتيه الملك يحمل الإناء بكلبتين من حرارته فإذا أدناه من وجهه تكرهه قال فيرفع مقمعة معه فيضرب بها رأسه فيفرغ دماغه ثم يفرغ الإناء من دماغه فيصل إلى جوفه من دماغه فذلك قوله (يصهر به مافى بطونهم والجلود) ، وقوله (ولهم مقامع من حديد) قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد عن رسول الله ﷺ قال « لو أن مقمعا من حديد وضع فى الأرض فاجتمع له الثقلان ما أقلوه من الأرض » وقال الإمام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو ضرب الجبل بمقمع من حديد لتفتت ثم عاد كما كان ، ولو أن دلوا من غساق يهراق فى الدنيا

لأنتن أهل الدنيا » وقال ابن عباس فى قوله (ولهم مقامع من حديد) قال يضربون بها فيقع كل عضو على حياله فيدعون بالثبور ، وقوله (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها) قال الأعمش عن أبى ظبيان عن سلمان قال : النار سوداء مظلمة لا يضيء لهبها ولا جمرها ثم قرأ (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها) وقال زيد بن أسلم فى هذه الآية (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها) قال بلغنى أن أهل النار فى النار لا يتنفسون ، وقال الفضيل ابن عياض : والله ما طمعوا فى الخروج إن الأرجل لمقيدة وإن الأيدى لموثقة ولكن يرفعهم لهبها وتردهم مقامعها ، وقوله (وذوقوا عذاب الحريق) كقوله (وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون) ومعنى الكلام أنهم يهانون بالعذاب قولا وفعلا

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾

لما أخبر تعالى عن حال أهل النار عياذا بالله من حالهم وما هم فيه من العذاب والنكال والحريق والأغلال وما أعدلهم من الثياب من النار ذكر حال أهل الجنة نسأل الله من فضله وكرمه فقال (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار) أى تتخرق فى أكنافها وأرجائها وجوانبها وتحت أشجارها وقصورها يصرفونها حيث شاءوا وأين أرادوا (يحلون فيها) من الحلية (من أساور من ذهب ولؤلؤا) أى فى أيديهم كما قال النبى ﷺ فى الحديث المتفق عليه « تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء » وقال كعب الأحبار : إن فى الجنة ملكا لو شئت أن أسميه لسميته يصوغ لأهل الجنة الحلى منذ خلقه الله إلى يوم القيامة لو أبرز قلب منها — أى سوار منها — لرد شعاع الشمس كما ترد الشمس نور القمر ، وقوله (ولباسهم فيها حرير) فى مقابلة ثياب أهل النار التى فصلت لهم ، لباس هؤلاء من الحرير استبرقه وسندسه كما قال (عالهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا فى الدنيا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا * إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا) وفى الصحيح « لا تلبسوا الحرير ولا الديباج فى الدنيا فانه من لبسه فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة » قال عبد الله بن الزبير : من لم يلبس الحرير فى الآخرة لم يدخل الجنة قال الله تعالى (ولباسهم فيها حرير) وقوله (وهدوا إلى الطيب من القول) كقوله تعالى (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام) وقوله (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) وقوله (لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما) فهدوا إلى المكان الذى يسمعون فيه الكلام الطيب وقوله (ويلقون فيها تحية وسلاما) لا كما يهان أهل النار بالكلام الذى يوبخون به ويقرعون به يقال لهم (ذوقوا عذاب الحريق) وقوله (وهدوا إلى صراط الحميد) أى إلى المكان الذى يحمدون فيه ربهم على ما أحسن إليهم وأنعم به وأسداه إليهم كما جاء فى الحديث الصحيح « أنهم يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس » وقد قال بعض المفسرين فى قوله (وهدوا إلى الطيب من القول) أى القرآن وقيل لا إله إلا الله وقيل الأذكار المشروعة (وهدوا إلى صراط الحميد) أى الطريق المستقيم فى الدنيا وكل هذا لا ينافى ما ذكرناه والله أعلم

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

يقول تعالى منكرا على الكفار فى صدهم المؤمنين عن إتيان المسجد الحرام وقضاء مناسكهم فيه ودعواهم أنهم أولياؤه (وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون) الآية وفى هذه الآية دليل على أنها مدنية كما قال فى سورة البقرة (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله

منه أكبر عند الله) وقال ههنا (إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام) أى ومن صفتهم أنهم مع كفرهم يصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام أى ويصدون عن المسجد الحرام من أراده من المؤمنين الذين هم أحق الناس به فى نفس الأمر وهذا الترتيب فى هذه الآية كقوله تعالى (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) أى ومن صفتهم أنهم تطمئن قلوبهم بذكر الله وقوله (الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد) أى يمنعون الناس عن الوصول إلى المسجد الحرام وقد جعله الله شرعا سواء لا فرق فيه بين المقيم فيه والنائى عنه البعيد الدار منه (سواء العاكف فيه والباد) ومن ذلك استواء الناس فى رباع مكة وسكناها كما قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله (سواء العاكف فيه والباد) قال ينزل أهل مكة وغيرهم فى المسجد الحرام وقال مجاهد (سواء العاكف فيه والباد) أهل مكة وغيرهم فيه سواء فى المنازل وكذا قال أبو صالح وعبد الرحمن بن سابط وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة سواء فيه أهله وغير أهله وهذه المسألة هى التى اختلف فيها الشافعى وإسحق بن راهويه بمسجد الخيف وأحمد بن حنبل حاضر أيضاً فذهب الشافعى رحمه الله إلى أن رباع مكة تملك وتورث وتؤجر واحتج بحديث الزهرى عن على بن الحسن عن عمرو بن عثمان عن أسامة بن زيد قال قلت يا رسول الله أتنزل غداً فى دارك بمكة ؟ فقال « وهل ترك لنا عقيل من رباع » ثم قال « لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر » وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين وبما ثبت أن عمر بن الخطاب اشترى من صفوان بن أمية دارا بمكة فجعلها سجنا بأربعة آلاف درهم وبه قال طاوس وعمرو بن دينار وذهب إسحق ابن راهويه إلى أنها لا تورث ولا تؤجر وهو مذهب طائفة من السلف ونص عليه مجاهد وعطاء واحتج إسحق بن راهويه بما رواه ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة عن عيسى بن يونس عن عمر بن سعيد بن أبى حيوة عن عثمان بن أبى سليمان عن علقمة بن نضلة قال : توفى رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وما تدعى رباع مكة إلا السوائب من احتاج سكن ومن استغنى أسكن ، وقال عبد الرزاق بن مجاهد عن أبيه عن عبد الله بن عمرو أنه قال لا يحل بيع دور مكة ولا كراؤها وقال أيضا عن ابن جريج كان عطاء ينهى عن الكراء فى الحرم وأخبرنى أن عمر بن الخطاب كان ينهى عن تبويب دور مكة لأن ينزل الحاج فى عرصاتها فكان أول من بوب داره سهيل بن عمرو فأرسل إليه عمر بن الخطاب فى ذلك فقال أنظرنى يا أمير المؤمنين إنى كنت امرأ تاجرا فأردت أن أتخذ بابين يحبسان لى ظهرى قال فلك ذلك إذاً . وقال عبد الرزاق عن معمر عن منصور عن مجاهد أن عمر بن الخطاب قال يا أهل مكة لا تتخذوا لدوركم أبوابا لينزل البادى حيث يشاء قال وأخبرنا معمر عمن سمع عطاء يقول (سواء العاكف فيه والباد) قال ينزلون حيث شاءوا ، وروى الدارقطنى من حديث ابن أبى نجيح عن عبد الله بن عمرو موقوفا « من أكل كراء بيوت مكة أكل نارا » وتوسط الإمام أحمد فقال تملك وتورث ولا تؤجر جمعا بين الأدلة والله أعلم ، وقوله (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) قال بعض المفسرين من أهل العربية الباء ههنا زائدة ، كقوله (تنبت بالدهن) أى تنبت الدهن وكذا قوله (ومن يرد فيه بالحاد) تقديره إلحاداً وكما قال الأعشى :

ضمنت برزق عيالنا أرماحنا * بين المراجل والصريح الأجرد

وقال الآخر : بواد يمان ينبت العشب صدره * وأسفله بالمرخ والشبهان

والأجود أنه ضمن الفعل ههنا معنى يهم ولهذا عداه بالباء فقال (ومن يرد فيه بإلحاد) أى يهم فيه بأمر فظيع من المعاصى الكبار وقوله (بظلم) أى عامدا قاصدا أنه ظلم ليس بمتأول كما قال ابن جريج عن ابن عباس هو التعمد

وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس: بظلم بشرك ، وقال مجاهد أن يعبد فيه غير الله ، وكذا قال قتادة وغير واحد وقال العوفى عن ابن عباس بظلم هو أن تستحل من الحرم ما حرم الله عليك من إساءة أو قتل فتظلم من لا يظلمك وتقتل من لا يقتلك فإذا فعل ذلك فقد وجب له العذاب الأليم وقال مجاهد بظلم بعمل فيه عملا سيئا وهذا من خصوصية الحرم أنه يعاقب البادى فيه الشر إذا كان عازماً عليه وإن لم يوقعه كما قال ابن أبى حاتم فى تفسيره حدثنا أحمد بن سنان حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا شعبة عن السدى أنه سمع مرة يحدث عن عبد الله يعنى ابن مسعود فى قوله (ومن يرد فيه

بإلحاد بظلم) قال لو أن رجلا أراد فيه بالحاد بظلم وهو بعدن أبين لأذاقه الله من العذاب الأليم قال شعبة هو رفعه لنا وأنا لا أرفعه لكم ، قال يزيد هو قد رفعه ، ورواه أحمد عن يزيد بن هارون به ، قلت هذا الإسناد صحيح على شرط البخارى ووقفه أشبه من رفعه ، ولهذا صمم شعبة على وقفه من كلام ابن مسعود ، وكذلك رواه أسباط وسفيان الثورى عن السدى عن مرة عن ابن مسعود موقوفا والله أعلم ، وقال الثورى عن السدى عن مرة عن عبدالله قال مامن رجل يهم بسيئة فتكتب عليه ولو أن رجلا بعدن أبين هم أن يقتل رجلا بهذا البيت لأذاقه الله من العذاب الأليم ، وكذا قال الضحاك بن مزاحم ، وقال سفيان الثورى عن منصور عن مجاهد الحاد فيه لا والله وبلى والله ، وروى عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو مثله ، وقال سعيد بن جبير شتم الخادم ظلم فما فوقه ، وقال سفيان الثورى عن عبدالله بن عطاء عن ميمون بن مهران عن ابن عباس فى قوله (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم) قال تجارة الأمير فيه وعن ابن عمر بيع الطعام بمكة إلحاد وقال حبيب بن أبى ثابت (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم) قال المحتكر بمكة وكذا قال غير واحد وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عبد الله بن إسحاق الجوهرى أنبأنا أبو عاصم عن جعفر بن يحيى عن عمه عمارة ابن ثوبان حدثنى موسى بن باذان عن يعلى بن أمية أن رسول الله ﷺ قال « احتكار الطعام بمكة إلحاد » وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثنا ابن لهيعة حدثنا عطاء بن دينار حدثنى سعيد ابن جبير قال : قال ابن عباس فى قول الله (ومن يرد فيه بالحاد بظلم) قال نزلت فى عبد الله بن أنيس أن رسول الله ﷺ بعثه مع رجلين أحدهما مهاجر والآخر من الأنصار فافتخروا فى الأنساب فغضب عبد الله بن أنيس فقتل الأنصارى ثم ارتد عن الاسلام ثم هرب إلى مكة فنزلت فيه (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم) يعنى من لجأ إلى الحرم بالحاد يعنى يميل عن الإسلام وهذه الآثار وإن دلت على أن هذه الأشياء من الإلحاد ولكن هو أعم من ذلك بل فيها تنبيه على ماهو أغلظ منها ولهذا لما هم أصحاب الفيل على تخريب البيت أرسل الله عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول ، أى دمرهم وجعلهم عبرة ونكالا لكل من أراده بسوء ولذلك ثبت فى الحديث أن رسول الله ﷺ قال « يغزو هذا البيت جيش حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بأولهم وآخرهم » الحديث وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن كناسة حدثنا إسحاق بن سعيد عن أبيه قال أتى عبد الله بن عمر عبد الله بن الزبير فقال يا ابن الزبير إياك والإلحاد فى حرم الله فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنه سيلحد فيه رجل من قريش لو توزن ذنو به بذنوب الثقلين لرجحت » فانظر لا تكن هو ، وقال أيضا فى مسند عبد الله بن عمرو بن العاص حدثنا هاشم حدثنا إسحق بن سعيد حدثنا سعيد بن عمرو قال أتى عبد الله بن عمر : عبد الله بن الزبير وهو جالس فى الحجر فقال يا ابن الزبير إياك والإلحاد فى الحرم فانى أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يحلها ويحل به رجل من قريش لو وزنت ذنوبه بذنوب الثقلين لوزنتها » قال فانظر لاتكن هو ، لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب من هذين الوجهين

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ * وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾

هذا فيه تقريع وتوبيخ لمن عبد غير الله وأشرك به من قريش فى البقعة التى أسست من أول يوم على توحيد الله وعبادته وحده لاشريك له فذكر تعالى أنه بوأ إبراهيم مكان البيت أى أرشده إليه وسلمه له وأذن له فى بنائه ، واستدل به كثير ممن قال إن إبراهيم عليه السلام هو أول من بنى البيت العتيق وأنه لم يبن قبله كما ثبت فى الصحيحين عن أبى ذر قلت يا رسول الله أى مسجد وضع أول ؟ قال « المسجد الحرام » قلت ثم أى ؟ قال « بيت المقدس » قلت كم بينهما ؟ قال « أربعون سنة » وقد قال الله تعالى (إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا) الآيتين وقال تعالى

(وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود) وقد قدمنا ذكر ما ورد فى بناء البيت من الصحاح والآثار بما أغنى عن إعادته ههنا وقال تعالى ههنا (أن لاتشرك بى شيئا) أى ابنه على اسمى وحدى (وطهر بيتى) قال قتادة ومجاهد من الشرك (للطائفين والقائمين والركع السجود) أى اجعله خالصا لهؤلاء الذين يعبدون الله وحده لاشريك له فالطائف به معروف وهو أخص العبادات عند البيت فانه لايفعل ببقعة من الأرض سواها (والقائمين) أى فى الصلاة ولهذا قال (والركع السجود) فقرن الطواف بالصلاة لأنهما لايشرعان إلا مختصين بالبيت فالطواف عنده والصلاة إليه فى غالب الأحوال إلا ما استثنى من الصلاة عند اشتباه القبلة وفى الحرب وفى النافلة فى السفر والله أعلم ، وقوله (وأذن فى الناس بالحج) أى نادفى الناس بالحج داعيا لهم إلى الحج إلى هذا البيت الذى أمرناك ببنائه فذكر أنه قال يارب كيف أبلغ الناس وصوتى لاينفذهم فقال ناد وعلينا البلاغ فقام على مقامه وقيل على الحجر وقيل على الصفا وقيل على أبى قبيس وقال يا أيها الناس إن ربكم قد اتخذ بيتا فحجوه فيقال إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض وأسمع من فى الأرحام والأصلاب وأجابه كل شىء سمعه من حجر ومدر وشجر ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة لبيك اللهم لبيك هذا مضمون ما ورد عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف والله أعلم وأوردها ابن جرير وابن أبى حاتم مطولة ، وقوله (يأتوك رجالا وعلى كل ضامر) الآية قد يستدل بهذه الآية من ذهب من العلماء إلى أن الحج ماشيا لمن قدر عليه أفضل من الحج راكبا لأنه قدمهم فى الذكر فدل على الاهتمام بهم وقوة همتهم وشدة عزمهم وقال وكيع عن أبى العميس عن أبى حلحلة عن محمد بن كعب عن ابن عباس قال ماأسأت على شىء إلا إنى وددت أنى كنت حججت ماشيا لأن الله يقول (يأتوك رجالا) والذى عليه الأكثرون أن الحج راكبا أفضل اقتداء برسول الله ﷺ فانه حج راكبا مع كمال قوته عليه السلام ، وقوله (يأتين من كل فج) يعنى طريق كما قال (وجعلنا فيها فجاجا سبلا) وقوله (عميق) أى بعيد قاله مجاهد وعطاء والسدى وقتادة ومقاتل ابن حيان والثورى وغير واحد وهذه الآية كقوله تعالى إخبارا عن إبراهيم حيث قال فى دعائه (فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم) فليس أحد من أهل الإسلام إلا وهو يحن إلى رؤية الكعبة والطواف والناس يقصدونها من سائر الجهات والأقطار

﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ * ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾

قال ابن عباس (ليشهدوا منافع لهم) قال منافع الدنيا والآخرة : أما منافع الآخرة فرضوان الله تعالى ، وأما منافع الدنيا فما يصيبون من منافع البدن والذبائح والتجارات ، وكذا قال مجاهد وغير واحد: إنها منافع الدنيا والآخرة كقوله (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) وقوله (ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) قال شعبة وهشيم عن أبى بشر عن سعيد عن ابن عباس رضى الله عنهما : الأيام المعلومات أيام العشر وعلقه البخارى عنه بصيغة الجزم به وروى مثله عن أبى موسى الأشعرى ومجاهد وقتادة وعطاء وسعيد بن جبير والحسن والضحاك وعطاء الخراسانى وإبراهيم النخعى وهو مذهب الشافعى والمشهور عن أحمد بن حنبل ، وقال البخارى حدثنا محمد بن عرعرة حدثنا شعبة عن سليمان عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال « ما العمل فى أيام أفضل منها فى هذه » قالوا ولا الجهاد فى سبيل الله؟ قال « ولا الجهاد فى سبيل الله إلا رجل يخرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشىء » رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه بنحوه وقال الترمذى حديث حسن غريب صحيح ، وفى الباب عن ابن عمر وأبى هريرة وعبد الله بن عمرو وجابر ، قلت وقد تقصيت هذه الطرق وأفردت لها جزأ على حدة فمن ذلك ما قال الإمام أحمد حدثنا عثمان أنبأنا أبو عوانة عن يزيد بن أبى زياد عن مجاهد عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام

العشر فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد » وروى من وجه آخر عن مجاهد عن ابن عمر بنحوه ، وقال البخارى وكان ابن عمر وأبو هريرة يخرجان إلى السوق فى أيام العشر فيكبران ويكبر الناس بتكبيرهما وقد روى أحمد عن جابر مرفوعا أن هذا هو العشر الذى أقسم الله به فى قوله (والفجر وليال عشر) وقال بعض السلف إنه المراد بقوله (وأتممناها بعشر) وفى سنن أبى داود أن رسول الله ﷺ كان يصوم هذا العشر ، وهذا العشر مشتمل على يوم عرفة الذى ثبت فيه صحيح مسلم عن أبى قتادة قال سئل رسول الله ﷺ عن صيام يوم عرفة فقال أحتسب على الله أن يكفر السنة الماضية والآتية ويشتمل على يوم النحر الذى هو يوم الحج الأكبر ، وقد ورد فى حديث أنه أفضل الأيام عند الله وبالجملة فهذا العشر قد قيل إنه أفضل أيام السنة كما نطق به الحديث ، وفضله كثير على عشر رمضان الأخير لأن هذا يشرع فيه ما يشرع فى ذلك من صلاة وصيام وصدقة وغيره ، ويمتاز هذا باختصاصه بأداء فرض الحج فيه وقيل ذلك أفضل لاشتماله على ليلة القدر التى خير من ألف شهر وتوسط آخرون فقالوا أيام هذا أفضل وليالى ذاك أفضل وبهذا يجتمع شمل الأدلة والله أعلم ﴿قول ثان﴾ فى الأيام المعلومات قال الحكم عن مقسم عن ابن عباس الأيام المعلومات يوم النحر وثلاثة أيام بعده ، ويروى هذا عن ابن عمر وإبراهيم النخعى وإليه ذهب أحمد بن حنبل فى رواية عنه ﴿قول ثالث﴾ قال ابن أبى حاتم حدثنا ابى حدثنا على بن المدينى حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا ابن عجلان حدثنى نافع أن ابن عمر كان يقول : الأيام المعلومات المعدودات هن جميعهن أربعة أيام فالأيام المعلومات يوم النحر ويومان بعده ، والأيام المعدودات ثلاثة أيام بعد يوم النحر هذا إسناد صحيح إليه ، وقاله السدى وهو مذهب الإمام مالك بن أنس ويعضد هذا القول والذى قبله قوله تعالى (على مارزقهم من بهيمه الأنعام) يعنى به ذكر الله عند ذبحها ﴿قول رابع﴾ إنها يوم عرفة ويوم النحر ويوم آخر بعده وهو مذهب أبى حنيفة ، وقال ابن وهب حدثنى ابن زيد بن أسلم عن أبيه أنه قال المعلومات يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق وقوله (على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) يعنى الإبل والبقر والغنم كما فصلها تعالى فى سورة الأنعام (ثمانيه أزواج) الآية وقوله (فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير) استدل بهذه الآية من ذهب إلى وجوب الأكل من الأضاحى وهو قول غريب والذى عليه الأكثرون أنه من باب الرخصة أو الاستحباب كما ثبت أن رسول الله ﷺ لما نحر هديه أمر من كل بدنة ببضعة فتطبخ فأكل من لحمها وحسا من مرقها قال عبد الله بن وهب قال لى مالك أحب أن يأكل من أضحيته لأن الله يقول (فكلوا منها) قال ابن وهب وسألت الليث فقال لى مثل ذلك وقال سفيان الثورى عن منصور عن إبراهيم (فكلوا منها) قال كان المشركون لا يأكلون من ذبائحهم فرخص للمسلمين فمن شاء أكل ومن لم يشأ لم يأكل ، وروى عن مجاهد وعطاء نحو ذلك . قال هشيم عن حصين عن مجاهد فى قوله (فكلوا منها) قال هى كقوله (فإذا حللتم فاصطادوا) (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض) وهذا اختيار ابن جرير فى تفسيره ، واستدل من نصر القول بأن الأضاحى يتصدق منها بالنصف بقوله فى هذه الآية (فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير) فجزأها نصفين نصف للضحى ونصف للفقراء ، والقول الآخر أنها تجزأ ثلاثة أجزاء ثلث له وثلث يهديه وثلث يتصدق به لقوله تعالى فى الآية الأخرى (فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر) وسيأتى الكلام عليها عندها إن شاء الله وبه الثقة ، وقوله (البائس الفقير) قال عكرمة هو المضطر الذى يظهر عليه البؤس وهو الفقير المتعفف : وقال مجاهد هو الذى لا يبسط يده ، وقال قتادة هو الزمن . وقال مقاتل بن حيان هو الضرير وقوله (ثم ليقضوا تفثهم) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس هو وضع الإحرام من حلق الرأس ولبس الثياب وقص الأظافر ونحو ذلك وهكذا روى عطاء ومجاهد عنه وكذا قال عكرمة ومحمد بن كعب القرظى وقال عكرمة عن ابن عباس (ثم ليقضوا تفثهم) قال التفث المناسك وقوله (وليوفوا نذورهم) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس يعنى نحر ما نذر من أمر البدن . وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد (وليوفوا نذورهم) نذر الحج والهدى وما نذر الإنسان من شىء يكون فى الحج ، وقال إبراهيم بن ميسرة عن مجاهد (وليوفوا نذورهم) قال الذبائح . وقال ليث بن أبى سليم عن مجاهد (وليوفوا نذورهم) كل نذر إلى أجل . وقال عكرمة (وليوفوا نذورهم) قال حجهم . وكذا روى الإمام أحمد وابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا بن أبى عمر حدثنا سفيان فى قوله (وليوفوا نذورهم) قال نذور الحج فكل من

دخل الحج فعليه من العمل فيه الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة وعرفة ومزدلفة ورمى الجمار على ما أمروا به ، وروى عن مالك نحوهذا وقوله (وليطوفوا بالبيت العتيق) قال مجاهد يعنى الطواف الواجب يوم النحر : وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن أبى حمزة قال : قال لى ابن عباس أتقرأسورة الحج يقول الله تعالى (وليطوفوا (بالبيت العتيق) فان آخر المناسك الطواف بالبيت العتيق : قلت وهكذا صنع رسول الله ﷺ فانه لما رجع إلى منى يوم النحر بدأ برمى الجمرة فرماها بسبع حصيات ثم نحر هديه وحلق رأسه ثم أفاض فطاف بالبيت ، وفى الصحيحين عن ابن عباس أنه قال أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت الطواف إلا أنه خفف عن المرأة الحائض ، وقوله (بالبيت العتيق) فيه مستدل لمن ذهب إلى أنه يجب الطواف من وراء الحجر لأنه من أصل البيت الذى بناه إبراهيم وإن كانت قريش قد أخرجوه من البيت حين قصرت بهم النفقة ، ولهذا طاف رسول الله ﷺ من وراء الحجر وأخبر أن الحجر من البيت ولم يستلم الركنين الشاميين لأنهما لم يتما على قواعد إبراهيم العتيقة ، ولهذا قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن أبى عمر العدنى حدثنا سفيان عن هشام بن حجر عن رجل عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية (وليطوفوا بالبيت العتيق) طاف رسول الله ﷺ من ورائه ، وقال قتادة عن الحسن البصرى فى قوله (وليطوفوا بالبيت العتيق) قال لأنه أول بيت وضع للناس وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وعن عكرمة أنه قال إنما سمى البيت العتيق لأنه أعتق يوم الغرق زمان نوح ، وقال خصيف إنما سمى البيت العتيق لأنه لم يظهر عليه جبار قط ، وقال ابن أبى نجيح وليث عن مجاهد أعتق من الجبارة أن يسلطوا عليه وكذا قال قتادة وقال حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن بن مسلم عن مجاهد لأنه لم يرده أحد بسوء إلا هلك ، وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن ابن الزبير قال إنما سمى البيت العتيق لأن الله أعتقه من الجبابرة ، وقال الترمذى حدثنا محمد بن إسماعيل وغير واحد حدثنا عبد الله بن صالح أخبرنى الليث عن عبد الرحمن بن خالد عن ابن شهاب عن محمد بن عروة عن عبد الله بن الزبير قال : قال رسول الله ﷺ « إنما سمى البيت العتيق لأنه لم يظهر عليه جبار » وكذا رواه ابن جرير عن محمد بن سهل المحاربى عن عبد الله بن صالح به وقال إن كان صحيحا ، وقال الترمذى هذا حديث حسن غريب ثم رواه من وجه آخر عن الزهرى مرسلا

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ * حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾

يقول تعالى هذا الذى أمرنا به من الطاعات فى أداء المناسك وما يلقى عليها من الثواب الجزيل (ومن يعظم حرمات الله) أى ومن يجتنب معاصيه ومحارمه ويكون ارتكابها عظيما فى نفسه (فهو خير له عند ربه) أى فله على ذلك خير كثير وثواب جزيل فكما على فعل الطاعات ثواب كثير وأجر جزيل كذلك على ترك المحرمات واجتناب المحظورات قال ابن جريج قال مجاهد فى قوله (ذلك ومن يعظم حرمات الله) قال الحرمة مكة والحج والعمرة وما نهى الله عنه من معاصيه كلها وكذ قال ابن زيد . وقوله (وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم) أى أحللنا لكم جميع الانعام وماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ، وقوله (إلا ما يتلى عليكم) أى من تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة الآية قال ذلك ابن جرير وحكاه عن قتادة ، وقوله (فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور) من ههنا لبيان الجنس أى اجتنبوا الرجس الذى هو الاوثان وقرن الشرك بالله بقول الزور كقوله (قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به

سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) ومنه شهادة الزور، وفى الصحيحين عن أبى بكرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر » قلنا بلى يا رسول الله قال «الإشراك بالله وعقوق الوالدين - وكان متكئا فجلس فقال - ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور » فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت ، وقال الإمام أحمد حدثنا مروان بن معاوية الفزارى أنبأنا سفيان بن زياد عن فاتك بن فضالة عن أيمن بن خريم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً فقال « يأيها الناس عدلت شهادة الزور إشراكا بالله » ثلاثا ثم قرأ (فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور) وهكذا رواه الترمذى عن أحمد بن منيع عن مروان بن معاوية به ثم قال غريب إنما نعرفه من حديث سفيان بن زياد وقد اختلف عنه فى رواية هذا الحديث ولا نعرف لأيمن بن خريم سماعا من النبى ﷺ وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا محمد بن عبيد حدثنا سفيان العصفرى عن أبيه عن حبيب بن النعمان الأسدى عن خريم بن فاتك الأسدى قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فلما انصرف قام قائما فقال « عدلت شهادة الزور الإشراك بالله عز وجل » ثم تلا هذه الآية (فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به) وقال سفيان الثورى عن عاصم بن أبى النجود عن وائل بن ربيعة عن ابن مسعود أنه قال: تعدل شهادة الزور الإشراك بالله ثم قرأ هذه الآية ، وقوله (حنفاء لله) أى مخلصين له الدين منحرفين عن الباطل قصدا إلى الحق ولهذا قال (غير مشركين به) ثم ضرب للمشرك مثلا فى ضلاله وهلاكه وبعده عن الهدى فقال (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء) أى سقط منها (فتخطفه الطير) أى تقطعه الطيور فى الهوء (أو تهوى به الريح فى مكان سحيق) أى بعيد مهلك لمن هوى فيه ولهذا جاء فى حديث البراء: أن الكافر إذا توفته ملائكة الموت وصعدوا بروحه إلى السماء فلا تفتح له أبواب السماء بل تطرح روحه طرحا من هناك ثم قرأ هذه الآية وقد تقدم الحديث فى سورة إبراهيم بحروفه وألفاظه وطرقه . وقد ضرب تعالى للمشركين مثلا آخر فى سورة الأنعام وهو قوله (قل أندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا قل إن هدى الله هو الهدى) الآية

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ۞ لَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾

يقول تعالى هذا (ومن يعظم شعائر الله) أى أوامره (فإنها من تقوى القلوب) ومن ذلك تعظيم الهدايا والبدن كما قال الحكم عن مقسم عن ابن عباس تعظيمها استسمانها واستحسانها . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا حفص بن غياث عن ابن أبى ليلى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس (ذلك ومن يعظم شعائر الله) قال: الاستسمان والاستحسان والاستعظام ، وقال أبو أمامة عن سهل : كنا نسمن الأضحية بالمدينة وكان المسلمون يسمنون . رواه البخارى وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « دم عفراء أحب إلى الله من دم سوداوين » رواه أحمد وابن ماجه قالوا: والعفراء هى البيضاء بياضا ليس بناصع فالبيضاء أفضل من غيرها وغيرها يجزىء أيضا لما ثبت فى صحيح البخارى عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى بكبشين أملحين أقرنين وعن أبى سعيد أن رسول الله ﷺ ضحى بكبش أقرن كحيل يأكل فى سواد وينظر فى سواد ويمشى فى سواد رواه أهل السنن وصححه الترمذى - أى فيه نكتة سواد فى هذه الأماكن ، وفى سنن ابن ماجه عن أبى رافع أن رسول الله ﷺ ضحى بكبشين عظيمين سمينين أقرنين أملحين موجوءين وكذا روى أبو داود وابن ماجه عن جابر ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أقرنين أملحين موجوءين : قيل ما الحصيان وقيل اللذان رض خصياهما ولم يقطعهما والله أعلم . وعن على رضى الله عنه قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نستشرف العين والأذن

وأن لانضحى بمقابلة ولا مدابرة ولاشرقاء ولا خرقاء ،رواه أحمد وأهل السنن وصححه الترمذى ولهم عنه ، قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نضحى بأعضب القرن والأذن ، قال سعيد بن المسيب : العضب النصف فأكثر وقال بعض أهل اللغة : إن كسر قرنها الأعلى فهى قصماء فأما العضب فهو كسر الأسفل وعضب الأذن قطع بعضها ، وعند الشافعى أن الأضحية بذلك مجزئة لكن تكره ، وقال أحمد لاتجزىء الأضحية بأعضب القرن والأذن لهذا الحديث ، وقال مالك إن كان الدم يسيل من القرن لم يجزىء والا أجزأ والله أعلم . وأما المقابلة فهى التى قطع مقدم أذنها والمدابرة من مؤخر أذنها ، والشرقاء هي التى قطعت أذنها طولا . قاله الشافعى والأصمعى وأما الخرقاء فهى التى خرقت السمة أذنها خرقا مدورا والله أعلم ، وعن البراء قال : قال رسول الله ﷺ « أربع لاتجوز فى الأضاحى : العوراء البين عورها والمريضة البين مرضها والعرجاء البين ضلعها والكسيرة التى لا تنقى » رواه أحمد وأهل السنن وصححه الترمذى وهذه العيوب تنقص اللحم لضعفها وعجزها عن استكمال الرعى لأن الشاء يسبقونها إلى المرعى فلهذا لاتجزىء التضحية بها عند الشافعى وغيره من الأئمة كما هو ظاهر الحديث ، واختلف قول الشافعى فى المريضة مرضا يسيرا على قولين وروى أبو داود عن عتبة بن عبد السلمى أن رسول الله ﷺ نهى عن المصفرة والمستأصلة والبخقاء والمشيعة والكسيرة ، فالمصفرة قيل الهزيلة وقيل المستأصلة الأذن والمستأصلة مكسورة القرن والبخقاء هى العوراء والمشيعة هى التى لاتزال تشيع خلف الغنم ولاتتبع لضعفها والكسيرة العرجاء فهذه العيوب كلها مانعة من الإجزاء فإن طرأ العيب بعد تعيين الاضحية فانه لا يضر عند الشافعى خلافا لأبى حنيفة وقد روى الإمام أحمد عن أبى سعيد قال : اشتريت كبشا أضحى به فعدا الذئب فأخذ الألية فسألت النبى ﷺ فقال « ضح به » ولهذا جاء فى الحديث أمرنا النبى ﷺ أن نستشرف العين والأذن أى أن تكون الهدية أو الأضحية سمينة حسنة سمينة كما رواه الإمام أحمد وأبو داود عن عبد الله بن عمر قال أهدى عمر نجيبا فأعطى بها ثلثمائة دينار فأتى النبى ﷺ فقال يا رسول الله إنى أهديت نجيبا فأعطيت بها ثلثمائة دينار أفأبيعها وأشترى بثمنها بدنا قال لا « انحرها إياها » وقال الضحاك عن ابن عباس البدن من شعائر الله وقال محمد بن أبى موسى الوقوف ومزدلفة والجمار والرمى والحلق والبدن من شعائر الله وقال ابن عمر أعظم الشعائر البيت وقوله (لكم فيها منافع) أى لكم فى البدن منافع من لبنها وصوفها وأوبارها وأشعارها وركوبها إلى أجل مسمى قال مقسم عن ابن عباس فى قوله (لكم فيها منافع إلى أجل مسمى) قال ما لم تسم بدنا وقال مجاهد فى قوله (لكم فيها منافع إلى أجل مسمى) قال الركوب واللبن والولد فإذا سميت بدنة أوهديا ذهب ذلك كله وكذا قال عطاء والضحاك وقتادة وعطاء الخراسانى وغيرهم ، وقال آخرون بل له أن ينتفع بها وإن كانت هديا إذا احتاج إلى ذلك كما ثبت فى الصحيحين عن أنس أن رسول الله ﷺ رأى رجلا يسوق بدنة قال « اركبها » قال إنها بدنة قال « اركبها ويحك » فى الثانية أو الثالثة وفى رواية لمسلم عن جابر عن رسول الله ﷺ أنه قال « اركبها بالمعروف إذا ألجئت إليها » وقال شعبة بن زهير عن أبى ثابت الأعمى عن المغيرة بن أبى الحر عن على أنه رأى رجلا يسوق بدنة ومعها ولدها فقال لاتشرب من لبنها إلا ما فضل عن ولدها فإذا كان يوم النحر فاذبحها وولدها وقوله (ثم محلها إلى البيت العتيق) أى محل الهدى وانتهاؤه إلى البيت العتيق وهو الكعبة كما قال تعالى (هديا بالغ الكعبة) وقال (والهدى معكوفا أن يبلغ محله) وقد تقدم الكلام على معنى البيت العتيق قريبا ولله الحمد وقال ابن جريج عن عطاء قال: كان ابن عباس يقول : كل من طاف بالبيت فقد حل قال الله تعالى (ثم محلها إلى البيت العتيق)

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ * الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾

يخبر تعالى انه لم يزل ذبح المناسك وإراقة الدماء على اسم الله مشروعا فى جميع الملل وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (ولكل أمة جعلنا منسكا) قال عيداً وقال عكرمة ذبحا ، وقال زيد بن أسلم فى قوله (ولكل أمة جعلنا منسكا) إنها مكة لم يجعل الله لأمة قط منسكا غيرها . وقوله (ليذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الأنعام) كما ثبت فى الصحيحين عن أنس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين أقرنين فسمى وكبر ووضع رجله على صفاحهما ، وقال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا يزيد بن هرون أنبأنا سلام بن مسكين عن عائذ الله المجاشعى عن أبى داود ـ وهو نفيع بن الحارث ـ عن زيد بن أرقم قال : قلت أو قالوا يارسول الله ماهذه الأضاحى ؟ قال « سنة أبيكم إبراهيم » قالوا اما لنامنها ؟ قال « بكل شعرة حسنة » قال فالصوف ؟ قال « بكل شعرة من الصوف حسنة » وأخرجه الإمام أبو عبدالله محمد بن يزيد بن ماجه فى سننه من حديث سلام بن مسكين به

وقوله (فإلهكم إله واحد فله أسلموا) أى معبودكم واحد وإن تنوعت شرائع الأنبياء ونسخ بعضها بعضا فالجميع يدعون إلى عبادة الله وحده لاشريك له (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لاإله إلا أنا فاعبدون) ولهذا قال (فله أسلموا) أى أخلصوا واستسلموا لحكمه وطاعته (وبشر المخبتين) قال مجاهد المطمئنين وقال الضحاك وقتادة المتواضعين وقال السدى الوجلين وقال عمرو بن أوس : المخبتين الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا ، وقال الثورى (وبشر المخبتين) قال المطمئنين الراضين بقضاء الله المستسلمين له وأحسن بما يفسر بما بعده وهو قوله (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) أى خافت منه قلوبهم (والصابرين على ما أصابهم) أى من المصائب ، قال الحسن البصرى والله لنصبرن أو لنهلكن (والمقيمى الصلاة) قرأ الجمهور بالإضافة السبعة وبقية العشرة أيضا ، وقرأ ابن السميفع (والمقيمين الصلاة) بالنصب وعن الحسن البصرى (والمقيمى الصلاة) وإنما حذفت النون ههنا تخفيفا ولو حذفت للاضافة لوجب خفض الصلاة ولكن على سبيل التخفيف فنصبت أى المؤدين حق الله فيما أوجب عليهم من أداء فرائضه (ومما رزقناهم ينفقون) أى وينفقون ما آتاهم الله من طيب الرزق على أهليهم وأقاربهم وفقرائهم ومحاويجهم ويحسنون إلى الخلق مع محافظتهم على حدود الله ، وهذه بخلاف صفات المنافقين فإنهم بالعكس من هذا كله كما تقدم تفسيره فى سورة براءة

﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

يقول تعالى ممتنا على عبيده فيما خلق لهم من البدن وجعلها من شعائره وهو أنه جعلها تهدى إلى بيته الحرام بل هى أفضل مايهدى اليه كما قال تعالى (لاتحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام) الآية ، قال ابن جريج قال عطاء فى قوله (والبدن جعلناها لكم من شعائر الله) قال البقرة والبعير وكذا روى عن ابن عمر وسعيد بن المسيب والحسن البصرى ، وقال مجاهد إنما البدن من الإبل (قلت) أما إطلاق البدنة على البعير فمتفق عليه واختلفوا فى صحة إطلاق البدنة على البقرة على قولين أصحهما أنه يطلق عليها ذلك شرعا كما صح الحديث ، ثم جمهور العلماء على أنه تجزىء البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة كما ثبت به الحديث عند مسلم من رواية جابر بن عبدالله قال أمرنا رسول الله ﷺ أن نشترك فى الأضاحى البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة ، وقال إسحق بن راهويه وغيره بل تجزىء البقرة والبعير عن عشرة وقد ورد به حديث فى مسند الإمام أحمد وسنن النسائى وغيرهما فالله أعلم . وقوله (لكم فيها خير) أى ثواب فى الدار الآخرة ، وعن سليمان بن يزيد الكعبى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال « ماعمل ابن آدم يوم النحر عملا أحب إلى الله من إهراق دم وإنها لتأتى يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأشعارها وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع من الأرض فطيبوا بها نفسا » رواه ابن ماجه والترمذى وحسنه . وقال سفيان الثورى كان أبو حازم يستدين ويسوق البدن فقيل له تستدين

وتسوق البدن ؟ فقال إنى سمعت الله يقول (لكم فيها خير) وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما أنفقت الورق فى شىء أفضل من نحيرة فى يوم عيد » رواه الدارقطنى فى سننه ، وقال مجاهد (لكم فيها خير) قال أجر ومنافع ، وقال إبراهيم النخعى يركبها ويحلبها إذا احتاج اليها . وقوله (فاذكروا اسم الله عليها صواف) وعن المطلب بن عبدالله بن حنطب عن جابر بن عبدالله قال صليت مع رسول الله ﷺ عيد الأضحى فلما انصرف أتى بكبش فذبحه فقال « باسم الله والله أكبر اللهم هذا عنى وعمن لم يضح من أمتى » رواه أحمد وأبو داود والترمذى . وقال محمد بن إسحق عن يزيد بن أبى حبيب عن ابن عباس عن جابر قال ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين فى يوم عيد فقال حين وجههما « وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين . إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين اللهم منك ولك عن محمد وأمته » ثم سمى الله وكبر وذبح وعن على بن الحسين عن أبى رافع أن رسول الله ﷺ كان إذا ضحى اشترى كبشين سمينين أقرنين أملحين فإذا صلى وخطب الناس أتى بأحدهما وهو قائم فى مصلاه فذبحه بنفسه بالمدية ثم يقول « اللهم هذا عن أمتى جميعها من شهد لك بالتوحيد وشهد لى بالبلاغ » ثم يؤتى بالآخر فيذبحه بنفسه ثم يقول « هذا عن محمد وآل محمد » فيطعمهما جميعاً للمساكين ويأكل هو وأهله منهما رواه أحمد وابن ماجه . وقال الأعمش عن أبى ظبيان عن ابن عباس فى قوله (فاذكروا اسم الله عليها صواف) قال قياما على ثلاث قوائم معقولة يدها اليسرى يقول باسم الله والله أكبر لا إله إلا الله اللهم منك ولك : وكذلك روى غن مجاهد وعلى بن أبى طلحة والعوفى عن ابن عباس نحو هذا . وقال ليث عن مجاهد إذا عقلت رجلها اليسرى قامت على ثلاث ، وروى ابن أبى نجيح عنه نحوه . وقال الضحاك يعقل رجلا فتكون على ثلاث. وفى الصحيحين عن ابن عمر أنه أتى على رجل قد أناخ بدنة وهو ينحرها فقال ابعثها قياما مقيدة سنة أبى القاسم ﷺ وعن جابر أن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا ينحرون البدن معقولة اليسرى قائمة على مابقى من قوائمها رواه أبو داود وقال ابن لهيعة حدثنى عطاء بن دينار أن سالم بن عبدالله قال لسليمان بن عبدالملك قف من شقها الأيمن وانحر من شقها الأيسر ، وفى صحيح مسلم عن جابر فى صفة حجة الوداع قال فيه فنحر رسول الله ﷺ بيده ثلاثا وستين بدنة جعل يطعنها بحربة فى يده . وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة قال فى حرف ابن مسعود (صوافن) أى معقلة قياما وقال سفيان الثورى عن منصور عن مجاهد من قرأها صوافن قال معقولة من قرأها صواف قال تصف بين يديها وقال طاوس والحسن وغيرهما (فاذكروا اسم الله عليها صوافى) يعنى خالصة لله عز وجل وكذا رواه مالك عن الزهرى . وقال عبد الرحمن بن زيد صوافى ليس فيها شرك كشرك الجاهلية لأصنامهم وقوله (فإذا وجبت جنوبها) قال ابن أبى نجيح عن مجاهد يعنى سقطت إلى الأرض وهو رواية عن ابن عباس وكذا قال مقاتل بن حيان . وقال العوفى عن ابن عباس فإذا وجبت جنوبها يعنى نحرت . وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم فإذا وجبت جنوبها يعنى ماتت وهذا القول هو مراد ابن عباس ومجاهد فانه لايجوز الأكل من البدنة إذا نحرت حتى تموت وتبرد حركتها ، وقد جاء فى حديث مرفوع « لاتعجلوا النفوس أن تزهق » وقد رواه الثورى فى جامعه عن أيوب عن يحيى بن أبى كثير عن قرافصة الحنفى عن عمر بن الخطاب أنه قال ذلك ويؤيده حديث شداد بن أوس فى صحيح مسلم « إن الله كتب الإحسان على كل شىء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » وعن أبى واقد الليثى قال : قال رسول الله ﷺ « ماقطع من البهيمة وهى حية فهو ميتة » رواه أحمد وأبو داود والترمذى وصححه . وقوله (فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر) قال بعض السلف قوله (فكلوا منها) أمر إباحة . وقال مالك يستحب ذلك وقال غيره يجب وهو وجه لبعض الشافعية . واختلفوا فى المراد بالقانع والمعتر فقال العوفى عن ابن عباس القانع المستغنى بما أعطيته وهو فى بيته والمعتر الذى يتعرض لك ويلم بك أن تعطيه من اللحم ولا يسأل وكذا قال مجاهد ومحمد بن كعب القرظى . وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس القانع المتعفف والمعتر السائل وهذا

قول قتادة وإبراهيم النخعى ومجاهد فى رواية عنه ،وقال ابن عباس وعكرمة وزيد بن أسلم والكلبي والحسن البصرى ومقاتل بن حيان ومالك بن أنس القانع هوالذى يقنع إليك ويسألك والمعتر الذى يعتريك يتضرع ولا يسألك وهذا لفظ الحسن وقال سعيد بن جبير القانع هو السائل قال أما سمعت قول الشماخ

لمال المرء يصلحه فيغنى * مفاقره أعف من القنوع

قال يغنى من السؤال وبه قال ابن زيد وقال زيد بن أسلم القانع المسكين الذى يطوف والمعتر الصديق والضعيف الذى يزور وهو رواية عن ابنه عبد الرحمن بن زيد أيضا ، وعن مجاهد أيضا القانع جارك الغنى الذى يبصر ما يدخل بيتك والمعتر الذى يعتزل من الناس ، وعنه أن القانع هو الطامع والمعتر هو الذى يعتر بالبدن من غنى أو فقير وعن عكرمة نحوه وعنه القانع أهل مكة ، واختار ابن جرير أن القانع هو السائل لأنه من أقنع بيده إذا رفعها للسؤال والمعتر من الاعتراء وهو الذى يتعرض لأكل اللحم، وقد احتج بهذه الآية الكريمة من ذهب من العلماء إلى أن الأضحية تجزأ ثلاثة أجزاء فثلث لصاحبها يأكله وثلث يهديه لأصحابه وثلث يتصدق به على الفقراء لأنه تعالى قال (فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر) وفى الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس « إنى كنت نهيتكم عن ادخار لحوم الأضاحى فوق ثلاث فكلوا وادخروا ما بدا لكم» وفى رواية « فكلوا وادخروا وتصدقوا » وفى رواية « فكلوا وأطعموا وتصدقوا » : والقول الثانى : أن المضحى يأكل النصف ويتصدق بالنصف لقوله فى الآية المتقدمة (فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير) ولقوله فى الحديث « فكلوا وادخروا وتصدقوا » فان أكل الكل فقيل لا يضمن شيئا وبه قال ابن سريج من الشافعية وقال بعضهم يضمنها كلها بمثلها أوقيمتها وقيل يضمن نصفها وقيل ثلثها وقيل أدنى جزء منها وهو المشهور من مذهب الشافعى ، وأما الجلود ففى مسند أحمد عن قتادة بن النعمان فى حديث الأضاحى « فكلوا وتصدقوا واستمتعوا بجلودها ولا تبيعوها » ومن العلماء من رخص فى بيعها ومنهم من قال يقاسم الفقراء فيها والله أعلم

﴿ مسئلة ﴾ عن البراء بن عازب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول ما نبدأ به فى يومنا هذا أن نصلى ثم نرجع فننحر فمن فعل فقد أصاب سنتنا ومن ذبح قبل الصلاة فإنما هو لحم قدمه لأهله ليس من النسك فى شىء » أخرجاه فلهذا قال الشافعى وجماعة من العلماء : إن أول وقت ذبح الأضاحى إذ طلعت الشمس يوم النحر ومضى قدر صلاة العيد والخطبتين زاد أحمد وأن يذبح الإمام بعد ذلك لما جاء فى صحيح مسلم وأن لا تذبحوا حتى يذبح الإمام ، وقال أبو حنيفة أما أهل السواد من القرى ونحوها فلهم أن يذبحوا بعد طلوع الفجر إذ لا صلاة عيد تشرع عنده لهم ، وأما أهل الأمصار فلا يذبحوا حتى يصلى الإمام والله أعلم ، ثم قيل لا يشرع الذبح إلا يوم النحر وحده وقيل يوم النحر لأهل الأمصار لتيسر الأضاحى عندهم وأما أهل القرى فيوم النحر وأيام التشريق بعده وبه قال سعيد بن جبير وقيل يوم النحر ويوم بعده للجميع وقيل ويومان بعده وبه قال الإمام أحمد ، وقيل يوم النحر وثلاثة أيام التشريق بعده وبه قال الشافعى لحديث جبير بن مطعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أيام التشريق كلها ذبح » رواه أحمد وابن حبان وقيل إن وقت الذبح يمتد إلى آخر ذى الحجه ، وبه قال إبراهيم النخعى وأبو سلمة بن عبد الرحمن ، وهو قول غريب وقوله (كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون) يقول تعالى من أجل هذا (سخرناها لكم) أى ذللناها لكم وجعلناها منقادة لكم خاضعة إن شئتم ركبتم وإن شئتم حلبتم وإن شئتم ذبحتم كما قال تعالى (أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون — إلى قوله — أفلا يشكرون) وقال فى هذه الآية الكريمة (كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون)

﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

يقول تعالى إنما شرع لكم نحر هذه الهدايا الضحايا لتذكروه عند ذبحها فانه الخالق الرازق لا يناله شىء من لحومها ولا دمائها فانه تعالى هو الغنى عما سواه وقد كانوا فى جاهليتهم إذا ذبحوها لآلهتهم وضعوا عليها من لحوم قرابينهم

ونضحوا عليها من دمائها فقال تعالى (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن أبي حماد حدثنا إبراهيم بن المختار عن ابن جريج قال كان أهل الجاهلية ينضحون البيت بلحوم الإبل ودمائها فقال أصحاب رسول الله ﷺ فنحن أحق أن ننضح فأنزل الله (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) أي يتقبل ذلك ويجزي عليه كما جاء في الصحيح « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » وجاء في الحديث « إن الصدقة لتقع في يد الرحمن قبل أن تقع في يد السائل وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع إلى الأرض » كما تقدم في الحديث رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه عن عائشة مرفوعا فمعناه أنه سيق لتحقيق القبول من الله لمن أخلص في عمله وليس له معنى يتبادر عند العلماء المحققين سوى هذا والله أعلم وقال وكيع عن يحيى بن مسلم ابن الضحاك سألت عامراً الشعبي عن جلود الأضاحي فقال (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) إن شئت فبع وإن شئت فأمسك وإن شئت فتصدق وقوله (كذلك سخرها لكم) أي من أجل ذلك سخر لكم البدن (لتكبروا الله على ما هداكم) أي لتعظموه كما هداكم لدينه وشرعه وما يحبه ويرضاه ونهاكم عن فعل ما يكرهه ويأباه وقوله (وبشر المحسنين) أي وبشر يا محمدا المحسنين أي في عملهم القائمين بحدود الله المتبعين ما شرع لهم المصدقين الرسول فيما أبلغهم وجاءهم به من عند ربه عز وجل ﴿ مسئلة ﴾ وقد ذهب أبو حنيفة ومالك والثوري إلى القول بوجوب الأضحية على من ملك نصابا وزاد أبو حنيفة اشتراط الإقامة أيضاً واحتج لهم بما رواه أحمد وابن ماجه بإسناد رجاله كلهم ثقات عن أبي هريرة مرفوعا « من وجد سعة فلم يضح فلا يقربن مصلانا » على أن فيه غرابة واستنكره أحمد بن حنبل وقال ابن عمر : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين يضحي رواه الترمذي وقال الشافعي وأحمد : لا تجب الأضحية بل هي مستحبة لما جاء في الحديث « ليس في المال حق سوى الزكاة » وقد تقدم أنه عليه الصلاة والسلام ضحى عن أمته فأسقط ذلك وجوبها عنهم، وقال أبو سريحة كنت جاراً لأبي بكر وعمر فكانا لا يضحيان خشية أن يقتدي الناس بهما ، وقال بعض الناس الأضحية سنة كفاية إذا قام بها واحد من أهل دار أو محلة أو بيت سقطت عن الباقين لأن المقصود إظهار الشعار : وقد روى الإمام أحمد وأهل السنن وحسنه الترمذي عن مخنف بن سليم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول بعرفات « على كل أهل بيت في كل عام أضحاة وعتيرة ، هل تدرون ما العتيرة ؟ هي التي تدعونها الرجبية » وقد تكلم في إسناده، وقال أبو أيوب كان الرجل في عهد رسول الله ﷺ يضحي بالشاة الواحدة عنه وعن أهل بيته فيأكلون ويطعمون حتى تباهى الناس فصار كما ترى رواه الترمذي وصححه وابن ماجه ، وكان عبد الله بن هشام يضحي بالشاة الواحدة عن جميع أهله رواه البخاري ، وأما مقدار سن الأضحية فقد روى مسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ قال « لا تذبحوا إلا مسنة إلا أن تعسر عليكم فتذبحوا جذعة من الضأن » ومن ههنا ذهب الزهري إلى أن الجذع لا يجزئ وقابله الأوزاعي فذهب إلى أن الجذع يجزي من كل جنس وهما غريبان ، والذي عليه الجمهور إنما يجزئ الثني من الإبل والبقر والمعز أو الجذع من الضأن، فأما الثني من الإبل فهو الذي له خمس سنين ودخل في السادسة ، ومن البقر ما له سنتان ودخل في الثالثة ، وقيل ما له ثلاث ودخل في الرابعة ومن المعز ما له سنتان ، وأما الجذع من الضأن فقيل ما له سنة قيل عشرة أشهر. وقيل ثمانية ، وقيل ستة أشهر وهو أقل ما قيل في سنه وما دونه فهو حمل والفرق بينهما أن الحمل شعر ظهره قائم ، والجذع شعر ظهره نائم، قد انفرق صدعين والله أعلم

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾

يخبر تعالى أنه يدفع عن عباده الذين توكلوا عليه وأنابوا إليه شر الأشرار وكيد الفجار ويحفظهم ويكلؤهم وينصرهم كما قال تعالى (أليس الله بكاف عبده) وقال (ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره ، قد جعل الله لكل شيء قدراً) وقوله (إن الله لا يحب كل خوان كفور) أي لا يحب من عباده من اتصف بهذا وهو الخيانة في العهود والمواثيق لا في بما قال ، والكفر الجحد للنعم فلا يعترف بها

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ

أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

قال العوفى عن ابن عباس نزلت فى محمد وأصحابه حين أخرجوا من مكة ، وقال مجاهد والضحاك وغير واحد من السلف كابن عباس وعروة بن الزبير وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان وقتادة وغيرهم هذه أول آيه نزلت فى الجهاد واستدل بهذه الآية بعضهم على أن السورة مدنية ، وقال ابن جرير حدثنى يحيى بن داود الواسطى حدثنا إسحاق بن يوسف عن سفيان عن الأعمش عن مسلم هو البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما أخرج النبى صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر أخرجوا نبيهم إنا لله وإنا إليه راجعون ليهلكن ، قال ابن عباس فأنزل الله عز وجل (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير) قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه فعرفت أنه سيكون قتال . ورواه الإمام أحمد عن إسحاق بن يوسف الأزرق به ، وزاد قال ابن عباس وهى أول آية نزلت فى القتال . ورواه الترمذى والنسائى فى التفسير من سننهما وابن أبى حاتم من حديث إسحاق بن يوسف زاد الترمذى ووكيع كلاهما عن سفيان الثورى به وقال الترمذى حديث حسن وقد رواه غير واحد عن الثورى وليس فيه ابن عباس وقوله (وإن الله على نصرهم لقدير) أى هو قادر على نصر عباده المؤمنين من غير قتال ولكن هو يريد من عباده أن يبذلوا جهدهم فى طاعته كما قال (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض ، والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم) وقال تعالى (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ، ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم) وقال (أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون) وقال (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) وقال (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) والآيات فى هذا كثيرة ، ولهذا قال ابن عباس فى قوله (وإن الله على نصرهم لقدير) وقد فعل ، وإنما شرع تعالى الجهاد فى الوقت الأليق به لأنهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر عدداً فلو أمر المسلمون وهم أقل من العشر بقتال الباقين لشق عليهم ، ولهذا لما بايع أهل يثرب ليلة العقبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا نيفا وثمانين قالوا يا رسول الله ألا نميل على أهل الوادى يعنون أهل منى ليالى منى فنقتلهم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنى لم أومر بهذا » فلما بغى المشركون وأخرجوا النبى صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم وهموا بقتله وشردوا أصحابه شذر مذر فذهب منهم طائفة إلى الحبشة وآخرون إلى المدينة ، فلما استقروا بالمدينة ووافاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمعوا عليه وقاموا بنصره وصارت لهم دار إسلام ومعقلا يلجئون إليه شرع الله جهاد الأعداء فكانت هذه الآية أول ما نزل فى ذلك فقال تعالى (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق) قال العوفى عن ابن عباس أخرجوا من مكة إلى المدينة بغير حق يعنى محمداً وأصحابه (إلا أن يقولوا ربنا الله) أى ما كان لهم إلى قومهم إساءة ولا كان لهم ذنب إلا أنهم وحدوا الله وعبدوه لاشريك له وهذا استثناء منقطع بالنسبه إلى ما فى نفس الأمر ، وأما عند المشركين فانه أكبر الذنوب كما قال تعالى (يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم) وقال تعالى فى قصة أصحاب الأخدود (وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) ولهذا لما كان المسلمون يرتجزون فى بناء الخندق ويقولون

لاهم لولا أنت مااهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا * فأنزلن سكينة علينا
وثبت الأقدام أن لاقينا * أن الألى قد بغوا علينا * اذا أرادوا فتنة أبينا

فيوافقهم رسول الله ﷺ ويقول معهم آخر كل قافية فاذا قالوا : اذا أرادوا فتنة أبينا يقول أبينا يمد بها صوته ثم قال تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) أى لولا أنه يدفع بقوم عن قوم ويكف شرور أناس عن غيرهم بما يخلقه ويقدره من الأسباب لفسدت الأرض ولأهلك القوى الضعيف (لهدمت صوامع) وهى المعابد الصغار للرهبان قاله ابن عباس ومجاهد وأبو العالية وعكرمة والضحاك وغيرهم وقال قتادة هى معابد الصابئين وفى رواية عنه صوامع المجوس وقال مقاتل بن حيان هى البيوت التى على الطرق (وبيع) وهى أوسع منها وأكثر عابدين فيها وهى للنصارى أيضاً قاله أبو العالية وقتادة والضحاك وابن صخر ومقاتل بن حيان وخصيف وغيرهم ، وحكى ابن جبير عن مجاهد وغيره أنها كنائس اليهود وحكى السدى عمن حدثه عن ابن عباس أنها كنائس اليهود ومجاهد إنما قال هى الكنائس والله أعلم ، وقوله (وصلوات) قال العوفى عن ابن عباس الصلوات الكنائس وكذا قال عكرمة والضحاك وقتادة : إنها كنائس اليهود وهم يسمونها صلوات ، وحكى السدى عمن حدثه عن ابن عباس أنها كنائس النصارى وقال أبو العالية وغيره الصلوات معابد الصابئين وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد الصلوات مساجد لأهل الكتاب ولأهل الإسلام بالطرق وأما المساجد فهى للمسلمين ، وقوله (يذكر فيها اسم الله كثيرا) فقد قيل الضمير فى قوله يذكر فيها عائد إلى المساجد لأنها أقرب المذكورات وقال الضحاك الجميع يذكر فيها اسم الله كثيرا ، وقال ابن جرير الصواب لهدمت صوامع الرهبان وبيع النصارى وصلوات اليهود وهى كنائسهم ومساجد المسلمين التى يذكر فيها اسم الله كثيرا لأن هذا هو المستعمل المعروف فى كلام العرب . وقال بعض العلماء هذا ترق من الأقل إلى الأكثر إلى أن انتهى إلى المساجد وهى أكثر عمارا وأكثر عباداوهم ذوو القصد الصحيح ، وقوله (ولينصرن الله من ينصره) كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم) وقوله (إن الله لقوى عزيز) وصف نفسه بالقوة والعزة فبقوته خلق كل شىء فقدره تقديرا وبعزته لا يقهره قاهر ولا يغلبه غالب بل كل شىء ذليل لديه فقير إليه ومن كان القوى العزيز ناصره فهو المنصور وعدوه هو المقهور قال الله تعالى (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون) وقال تعالى (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله لقوى عزيز)

﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾

قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو الربيع الزهرانى حدثنا حماد بن زيد عن أيوب وهشام عن محمد قال : قال عثمان بن عفان فينا نزلت (الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) فأخرجنا من ديارنا بغير حق إلا أن قلنا ربنا الله ثم مكنا فى الأرض فأقمنا الصلاة وآتينا الزكاة وأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر ولله عاقبة الأمور فهى لى ولأصحابى وقال أبو العالية هم أصحاب محمد ﷺ وقال الصباح بن سوادة الكندى سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب وهو يقول (الذين إن مكناهم فى الأرض) الآية ثم قال ألا إنها ليست على الوالى وحده ولكنها على الوالى والمولى عليه : ألا أنبئكم بمالكم على الوالى من ذلكم وبما للوالى عليكم منه إن لكم على الوالى من ذلكم أن يؤخذكم بحقوق الله عليكم وأن يأخذ لبعضكم من بعض وأن يهديكم للتى هى أقوم ما استطاع وإن عليكم من ذلك الطاعة غير المبزوزة ولا المستكره بها ولا المخالف سرها علانيتها ، وقال عطية العوفى هذه الآية كقوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض) وقوله (ولله عاقبة الأمور) كقوله تعالى (والعاقبة للمتقين) وقال زيد بن أسلم (ولله عاقبة الأمور) وعند الله ثواب ما صنعوا

﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ * وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ

مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ * فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ * أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾

يقول تعالى مسليا لنبيه محمد ﷺ فى تكذيب من خالفه من قومه (وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح — إلى أن قال — وكذب موسى) أى مع ما جاء به من الآيات البينات والدلائل الواضحات (فأمليت للكافرين) أى أنظرتهم وأخرتهم (ثم أخذتهم فكيف كان نكير) أى فكيف كان إنكارى عليهم ومعاقبتى لهم؟! وذكر بعض السلف أنه كان بين قول فرعون لقومه أنا ربكم الأعلى وبين إهلاك الله له أربعون سنة وفى الصحيحين عن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد) ثم قال تعالى (فكأين من قرية أهلكناها) أى كم من قرية أهلكتها (وهى ظالمة) أى مكذبة لرسلها (فهى خاوية على عروشها) قال الضحاك سقوفها أى قد خربت منازلها وتعطلت حواضرها (وبئر معطلة) أى لا يستقى منها ولا يردها أحد بعد كثرة وارديها والازدحام عليها (وقصر مشيد) قال عكرمة يعنى المبيض بالجص وروى عن على بن أبى طالب ومجاهد وعطاء وسعيد ابن جبير وأبى المليح والضحاك نحو ذلك ، وقال آخرون هو المنيف المرتفع وقال آخرون المشيد المنيع الحصين وكل هذه الأقوال متقاربة ، ولا منافاة بينها فانه لم يحم أهله شدة بنائه ولا ارتفاعه ولا إحكامه ولا حصانته عن حلول بأس الله بهم كما قال تعالى (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة) وقوله (أفلم يسيروا فى الأرض) أى بأبدانهم وبفكرهم أيضا وذلك كاف كما قال ابن أبى الدنيا فى كتاب التفكر والاعتبار حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا سيار حدثنا جعفر حدثنا مالك بن دينار قال أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران عليه السلام أن : يا موسى اتخذ نعلين من حديد وعصا ثم سح فى الأرض ثم اطلب الآثار والعبر حتى يتخرق النعلان وتنكسر العصا . وقال ابن أبى الدنيا قال بعض الحكماء أحى قلبك بالمواعظ ونوره بالتفكر وموته بالزهد وقوه باليقين وذلله بالموت وقدره بالفناء وبصره فجائع الدنيا وحذره صولة الدهر وفحش تقلب الأيام واعرض عليه أخبار الماضين وذكره ما أصاب من كان قبله وسيره فى ديارهم وآثارهم وانظر ما فعلوا وأين حلوا وعم انقلبوا . أى فانظروا ما حل بالأمم المكذبة من النقم والنكال (فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها) أى فيعتبرون بها (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) أى ليس العمى عمى البصر وإنما العمى عمى البصيرة وإن كانت القوة الباصرة سليمة فانها لا تنفذ إلى العبر ولا تدرى ما الخبر وما أحسن ما قاله بعض الشعراء فى هذا المعنى وهو أبو محمد عبد الله بن محمد بن حيان الأندلسى الشنترينى وقد كانت وفاته سنة سبع عشرة وخمسمائة

يا من يصيخ إلى داعى الشقاء وقد * نادى به الناعيان الشيب والكبر
إن كنت لا تسمع الذكرى ففيم ترى * فى رأسك الواعيان السمع والبصر
ليس الأصم ولا الأعمى سوى رجل * لم يهده الهاديان العين والأثر
لا الدهر يبقى ولا الدنيا ولا الفلك الـ * ـأعلى ولا النيران الشمس والقمر
ليرحلن عن الدنيا وإن كرها * فراقها الثاويان البدن والحضر

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ * وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾

يقول تعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه (ويستعجلونك بالعذاب) أى هؤلاء الكفار الملحدون المكذبون بالله وكتابه ورسوله واليوم الآخر كما قال تعالى (وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة

من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب) وقوله (ولن يخلف الله وعده) أى الذى قدوعد من إقامة الساعة والانتقام من أعدائه ، والاكرام لأوليائه ، قال الأصمعى كنت عند أبى عمرو بن العلاء فجاءه عمرو بن عبيد فقال يا أبا عمرو هل يخلف الله الميعاد ؟فقال لا ، فذكر آية وعيد فقال له أمن العجم أنت؟ إن العرب تعد الرجوع عن الوعد لؤما وعن الإيعاد كرما أما سمعت قول الشاعر :

ليرهب ابن العم والجار سطوتى * ولا أنثنى عن سطوة المتهدد
فانى وإن أوعدته أو وعدته * لمخلف إيعادى ومنجز موعدى

وقوله (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) أى هو تعالى لا يعجل فان مقدار ألف سنة عند خلقه كيوم واحد عنده بالنسبة إلى حكمه لعلمه بأنه على الانتقام قادر وأنه لا يفوته شىء وإن أجل وأنظر وأملى ولهذا قال بعد هذا (وكأين من قرية أمليت لها وهى ظالمة ثم أخذتها وإلى المصير) قال ابن أبى حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنى عبدة ابن سليمان عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم خمسمائة عام » ورواه الترمذى والنسائى من حديث الثورى عن محمد بن عمرو به وقال الترمذى حسن صحيح ، وقد رواه ابن جرير عن أبى هريرة موقوفا فقال : حدثنى يعقوب ثنا ابن علية ثنا سعيد الجريرى عن أبى نضرة عن سمير بن نهار قال : قال أبو هريرة : يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بمقدار نصف يوم ، قلت وما مقدار نصف يوم ؟ قال أو ما تقرأ القرآن ، قلت بلى ، قال (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) وقال أبو داود فى آخر كتاب الملاحم من سننه حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان عن شريح بن عبيد عن سعد بن أبى وقاص عن النبى ﷺ أنه قال « إنى لأرجو أن لا تعجز أمتى عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم » قيل لسعد وما نصف يوم ؟ قال خمسمائة سنة وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدى عن إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) قال من الأيام التى خلق الله فيها السموات والأرض . ورواه ابن جرير عن ابن بشار عن ابن المهدى ، وبه قال مجاهد وعكرمة ونص عليه أحمد بن حنبل فى كتاب الرد على الجهمية وقال مجاهد هذه الآية كقوله ﴿ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى حدثنا عارم بن محمد بن الفضل حدثنا حماد بن زيد عن يحيى بن عتيق عن محمد بن سيرين عن رجل من أهل الكتاب أسلم قال: إن الله تعالى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) وجعل أجل الدنيا ستة أيام وجعل الساعة فى اليوم السابع (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) فقد مضت الستة الأيام وأنتم فى اليوم السابع فمثل ذلك كمثل الحامل إذا دخلت شهرها ففى أية لحظة ولدت كان تماما

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾

يقول تعالى لنبيه ﷺ حين طلب منه الكفار وقوع العذاب واستعجلوه به (قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين) أى إنما أرسلنى الله إليكم نذيراً لكم بين يدى عذاب شديد وليس إلى من حسابكم من شىء أمركم إلى الله إن شاء عجل لكم العذاب وإن شاء أخره عنكم ، وإن شاء تاب على من يتوب إليه ، وإن شاء أضل من كتب عليه الشقاوة وهو الفعال لما يشاء ويريد ويختار (لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب)(وإنما أنا لكم نذير مبين ۝ فالذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى آمنت قلوبهم وصدقوا إيمانهم بأعمالهم (لهم مغفرة ورزق كريم) أى مغفرة لما سلف من سيئاتهم ومجازاة حسنة على القليل من حسناتهم ، قال محمد بن كعب القرظى إذا سمعت الله تعالى يقول (ورزق كريم) فهو الجنة . وقوله (والذين سعوا فى آياتنا معاجزين) قال مجاهد يثبطون الناس عن متابعة النبى صلى الله عليه وسلم وكذا قال عبد الله بن الزبير مثبطين ، وقال ابن عباس معاجزين مراغمين (أولئك أصحاب الجحيم)

وهى النار الحارة الموجعة الشديد عذابها ونكالها أجارنا الله منها قال الله تعالى (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون)

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ *وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

قد ذكر كثير من المفسرين ههنا قصة الغرانيق وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ظنا منهم أن مشركى قريش قد أسلموا ولكنها من طرق كلها مرسلة ولم أرها مسندة من وجه صحيح والله أعلم قال ابن أبى حاتم حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود حدثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير قال : قرأ رسول الله ﷺ بمكة النجم فلما بلغ هذا الموضع (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) قال فألقى الشيطان على لسانه : تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن ترتجى ، قالوا ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا فأنزل الله عز وجل هذه الآية (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله مايلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) ورواه ابن جرير عن بندار عن غندر عن شعبة به بنحوه وهو مرسل وقد رواه البزار فى مسنده عن يوسف بن حماد عن أمية بن خالد عن شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسب الشك فى الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ بمكة سورة النجم حتى انتهى إلى (أفرأيتم اللات والعزى) وذكر بقيته ، ثم قال البزار لانعلمه يروى متصلا إلا بهذا الإسناد تفرد بوصله أمية بن خالد وهو ثقة مشهور وإنما يروى هذا من طريق الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس ، ثم رواه ابن أبى حاتم عن أبى العالية وعن السدى مرسلا وكذا رواه ابن جرير عن محمد بن كعب القرظى ومحمد بن قيس مرسلا أيضا وقال قتادة كان النبى ﷺ يصلى عند المقام إذ نعس فألقى الشيطان على لسانه وإن شفاعتها لترتجى ، وإنها لمع الغرانيق العلى فحفظها المشركون واجرى الشيطان أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قرأها فذلت بها ألسنتهم فأنزل الله (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) الآية فدحر الله الشيطان ، ثم قال ابن أبى حاتم حدثنا موسى بن أبى موسى الكوفى حدثنا محمد بن إسحق الشيبى حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال : أنزلت سورة النجم وكان المشركون يقولون لوكان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير أقررناه وأصحابه ولكنه لايذكر من خالف دينه من اليهود والنصارى بمثل الذى يذكر آلهتنا من الشتم والشر وكان رسول الله ﷺ قد اشتد عليه ماناله وأصحابه من أذاهم وتكذيبهم وأحزنه ضلالهم فكان يتمنى هداهم فلما أنزل الله سورة النجم قال (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى * ألكم الذكر وله الأنثى) ألقى الشيطان عندها كلمات حين ذكر الله الطواغيت فقال وإنهن لهن الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهن لهى التى ترتجى وكان ذلك من سجع الشيطان وفتنته فوقعت هاتان الكلمتان فى قلب كل مشرك بمكة وذلت بها ألسنتهم وتباشروا بها وقالوا إن محمدا قد رجع إلى دينه الأول ودين قومه فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر النجم سجد وسجد كل من حضره من مسلم أو مشرك غير أن الوليد بن المغيرة كان رجلا كبيراً فرفع ملء كفه ترابا فسجد عليه فعجب الفريقان كلاهما من جماعتهم فى السجود لسجود رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما المسلمون فعجبوا لسجود المشركين معهم على غير إيمان ولا يقين ولم يكن المسلمون سمعوا الذى ألقى الشيطان فى مسامع المشركين فاطمأنت أنفسهم لما ألقى الشيطان فى أمنية رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثهم به الشيطان

أن رسول الله ﷺ قد قرأها فى السورة فسجدوا لتعظيم آلهتهم ففشت تلك الكلمة فى الناس وأظهرها الشيطان حتى بلغت أرض الحبشة ومن بها من المسلمين عثمان بن مظعون وأصحابه وتحدثوا أن أهل مكة قد أسلموا كلهم وصلوا مع رسول الله ﷺ وبلغهم سجود الوليد بن المغيرة على التراب على كفه وحدثوا أن المسلمين قد أمنوا بمكة فأقبلوا سراعا وقد نسخ الله ما ألقى الشيطان وأحكم الله آياته وحفظه من الفرية ، وقال الله (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله مايلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم* ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفى شقاق بعيد) فلما بين الله قضاءه وبرأه من سجع الشيطان انقلب المشركون بضلالتهم وعداوتهم المسلمين واشتدوا عليهم وهذا أيضاً مرسل ، وفى تفسير ابن جرير عن الزهرى عن أبى بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام نحوه وقد رواه الحافظ أبوبكر البيهقى فى كتابه دلائل النبوة فلم يجزبه موسى بن عقبة ساقه من مغازيه بنحوه قال وقد روينا عن أبى إسحق هذه القصة (قلت) وقد ذكرها محمد بن إسحق فى السيرة بنحو من هذا وكلها مرسلات ومنقطعات والله أعلم ، وقد ساقها البغوى فى تفسيره مجموعة من كلام ابن عباس ومحمد بن كعب القرظى وغيرهما بنحو من ذلك ثم سأل ههنا سؤالا كيف وقع مثل هذا مع العصمة المضمونة من الله تعالى لرسوله صلاة الله وسلامه عليه ، ثم حكى أجوبة عن الناس من ألطفها أن الشيطان أوقع فى مسامع المشركين ذلك فتوهموا أنه صدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس كذلك فى نفس الأمر بل إنما كان من صنيع الشيطان لا عن رسول الرحمن ﷺ والله أعلم

وهكذا تنوعت أجوبة المتكلمين عن هذا بتقدير صحته ، وقد تعرض القاضى عياض رحمه الله فى كتاب الشفاء لهذا وأجاب بما حاصله أنها كذلك لثبوتها وقوله (إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته) هذا فيه تسلية من الله لرسوله صلاة الله وسلامه عليه أى لا يهيدنك فقد أصاب مثل هذا من قبلك من المرسلين والأنبياء ، قال البخارى : قال ابن عباس (فى أمنيته) إذا حدث ألقى الشيطان فى حديثه فيبطل الله مايلقى الشيطان (ثم يحكم الله آياته) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته) يقول إذا حدث ألقى الشيطان فى حديثه ، وقال مجاهد (إذا تمنى) يعنى إذا قال ويقال أمنيته قراءته (إلا أمانى) يقرءون ولا يكتبون قال البغوى وأكثر المفسرين قالوا معنى قوله (تمنى) أى تلا وقرأ كتاب الله (ألقى الشيطان فى أمنيته) أى فى تلاوته قال الشاعر فى عثمان حين قتل :

تمنى كتاب الله أول ليلة وآخرها لاقى حمام المقادر

وقال الضحاك (إذا تمنى) إذا تلا قال ابن جرير هذا القول أشبه بتأويل الكلام ، وقوله (فينسخ الله مايلقى الشيطان) حقيقة النسخ لغة الازالة والرفع ، قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس أى فيبطل الله سبحانه وتعالى ما ألقى الشيطان وقال الضحاك نسخ جبريل بأمر الله ما ألقى الشيطان وأحكم الله آياته ، وقوله (والله عليم) أى بما يكون من الأمور والحوادث لا تخفى عليه خافية (حكيم) أى فى تقديره وخلقه وأمره له . الحكمة التامة والحجة البالغة ولهذا قال (ليجعل مايلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض) أى شك وشرك وكفر ونفاق كالمشركين حين فرحوا بذلك واعتقدوا أنه صحيح من عند الله وإنما كان من الشيطان : قال ابن جريج (الذين فى قلوبهم مرض) هم المنافقون (والقاسية قلوبهم) هم المشركون . وقال مقاتل بن حيان هم اليهود (وإن الظالمين لفى شقاق بعيد) أى فى ضلال ومخالفة وعناد بعيد أى من الحق والصواب (وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به) أى وليعلم الذين أوتوا العلم النافع الذى يفرقون به بين الحق والباطل والمؤمنون بالله ورسوله أن ما أوحيناه اليك هو الحق من ربك الذى أنزله بعلمه وحفظه وحرسه أن يختلط به غيره بل هو كتاب عزيز (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) وقوله (فيؤمنوا به) أى يصدقوه وينقادوا له (فتخبت له قلوبهم) أى تخضع وتذل له قلوبهم (وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم) أى فى الدنيا والآخرة . أما فى الدنيا فيرشدهم إلى الحق واتباعه ويوفقهم لمخالفة الباطل واجتنابه وفى الآخرة يهديهم الصراط المستقيم الموصل إلى درجات الجنات ويزحزحهم عن العذاب الأليم والدركات

﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ * الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن الكفار أنهم لا يزالون فى مرية أى فى شك وريب من هذا القرآن قاله ابن جريج واختاره ابن جرير ، وقال سعيد بن جبير وابن زيد منه أى مما ألقى الشيطان (حتى تأتيهم الساعة بغتة) قال مجاهد فجأة ، وقال قتادة (بغتة) بغت القوم أمر الله وما أخذ الله قوماً قط إلا عند سكرتهم وغرتهم ونعمتهم فلا تغتروا بالله إنه لا يغتر بالله إلا القوم الفاسقون وقوله (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) قال مجاهد قال أبى بن كعب هو يوم بدر ، وكذا قال مجاهد وعكرمه وسعيد بن جبير وقتادة وغير واحد واختاره ابن جرير ، قال عكرمة ومجاهد فى رواية عنهما هو يوم القيامة لا ليل له وكذا قال الضحاك والحسن البصرى وهذا القول هو الصحيح ، وإن كان يوم بدر من جملة ما أوعدوا به لكن هذا هو المراد ولهذا قال (الملك يومئذ لله يحكم بينهم) كقوله (مالك يوم الدين) وقوله (الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيرا) (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى آمنت قلوبهم وصدقوا بالله ورسوله وعملوا بمقتضى ما علموا وتوافق قلوبهم وأقوالهم وأعمالهم (فى جنات النعيم) أى لهم النعيم المقيم الذى لا يحول ولا يزول ولا يبيد (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) أى كفرت قلوبهم بالحق وجحدته وكذبوا به وخالفوا الرسل واستكبروا عن اتباعهم (فأولئك لهم عذاب مهين) أى مقابلة استكبارهم وإبائهم عن الحق كقوله تعالى (إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) أى صاغرين

﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ * ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾

يخبر تعالى عمن خرج مهاجراً فى سبيل الله ابتغاء مرضاته وطلبا لما عنده وترك الأوطان والأهلين والخلان وفارق بلاده فى الله ورسوله ونصرة لدين الله ثم قتلوا أى فى الجهاد أو ماتوا أى حتف أنفهم من غير قتال على فرشهم فقد حصلوا على الأجر الجزيل والثناء الجميل كما قال تعالى (ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله) وقوله (ليرزقنهم الله رزقا حسنا) أى ليجزين عليهم من فضله ورزقه من الجنة ما تقر به أعينهم (وإن الله لهو خير الرازقين * ليدخلنهم مدخلا يرضونه) أى الجنة كما قال تعالى (فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة ونعيم) فأخبر أنه يحصل له الراحة والرزق وجنة النعيم كما قال ههنا (ليرزقنهم الله رزقا حسنا) ثم قال (ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم) أى بمن يهاجر ويجاهد فى سبيله وبمن يستحق ذلك (حليم) أى يحلم ويصفح ويغفر لهم الذنوب ويكفرها عنهم بهجرتهم إليه وتوكلهم عليه . فأما من قتل فى سبيل الله من مهاجر أو غير مهاجر فانه حى عند ربه يرزق كما قال تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) والأحاديث فى هذا كثيرة كما تقدم وأما من توفى فى سبيل الله من مهاجر أو غير مهاجر فقد تضمنت هذه الآية الكريمة مع الأحاديث الصحيحة إجراء الرزق عليه وعظيم إحسان الله إليه قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا المسيب بن واضح حدثنا ابن المبارك عن عبد الرحمن بن شريح عن ابن الحارث ـ يعنى عبد الكريم ـ عن ابن عقبة يعنى أبا عبيدة بن عقبة قال : قال شرحبيل ابن السمط : طال رباطنا وإقامتنا على حصن بأرض الروم فمر بى سلمان يعنى الفارسى رضى الله عنه فقال إنى سمعت رسول الله

يقول « من مات مرابطا أجرى الله عليه مثل ذلك الأجر وأجرى عليه الرزق وأمن من الفتانين واقرءوا إن شئتم (والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا أوماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم) » وقال أيضا حدثنا أبو زرعة حدثنا زيد بن بشر أخبرنى همام أنه سمع أباقبيل وربيعة ابن سيف المعافرى يقولان كنا برودس ومعنا فضالة بن عبيد الأنصار صاحب رسول الله ﷺ فمر بجنازتين إحداهما قتيل والأخرى متوفى فمال الناس على القتيل فقال فضالة مالى أرى الناس مالوا مع هذا وتركوا هذا ؟ فقالوا هذا القتيل فى سبيل الله فقال والله ما أبالى من أى حفرتيهما بعثت اسمعوا كتاب الله (والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا أوماتوا) حتى بلغ آخر الآية وقال أيضا حدثنا أبى حدثنا عبدة بن سليمان أنبأنا ابن المبارك أنبأنا ابن لهيعة حدثنا سلامان بن عامر الشيبانى أن عبد الرحمن بن جحدم الخولانى حدثه أنه حضر فضالة بن عبيد فى البحر مع جنازتين أحدهما أسيب بمنجنيق والآخر توفى فجلس فضالة بن عبيد عند قبر المتوفى فقيل له تركت الشهيد فلم تجلس عنده فقال ما أبالى من أى حفرتيهما بعثت إن الله يقول (والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا أوماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا) الآيتين فما تبتغى أيها العبد إذا أدخلت مدخلا ترضاه ورزقت رزقا حسنا والله ما إبالى من أى حفرتيهما بعثت . ورواه ابن جرير عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب أخبرنى عبد الرحمن بن شريح عن سلامان ابن عامر قال كان فضالة برودس أميراً على الأرباع فخرج بجنازتى رجلين أحدهما قتيل والآخر متوفى فذكر نحو ماتقدم وقوله (ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به) الآية ذكر مقاتل بن حيان وابن جرير أنها نزلت فى سرية من الصحابة لقوا جمعا من المشركين فى شهر محرم فناشدهم المسلمون لئلا يقاتلوهم فى الشهر الحرام فأبى المشركون إلا قتالهم وبغوا عليهم فقاتلهم المسلمون فنصرهم الله عليهم (إن الله لعفو غفور)

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ * ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾

يقول تعالى منبها على أنه الخالق المتصرف فى خلقه بما يشاء كما قال (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير * تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب) ومعنى إيلاجه الليل فى النهار والنهار فى الليل إدخاله من هذا فى هذا ومن هذا فى هذا فتارة يطول الليل ويقصر النهار كما فى الشتاء وتارة يطول النهار ويقصر الليل كما فى الصيف وقوله (وأن الله سميع بصير) أى سميع بأقوال عباده بصير بهم لا يخفى عليه منهم خافية فى أحوالهم وحركاتهم وسكناتهم . ولما تبين أنه المتصرف فى الوجود الحاكم الذى لا معقب لحكمه قال (ذلك بأن الله هو الحق) أى الإله الحق الذى لا تنبغى العبادة إلا له لأنه ذو السلطان العظيم الذى ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن وكل شىء فقير إليه ، ذليل لديه (وأن مايدعون من دونه هو الباطل) أى من الأصنام والأنداد والأوثان وكل ماعبد من دونه تعالى فهو باطل لأنه لا يملك ضراً ولا نفعا وقوله (وأن الله هو العلى الكبير) كما قال (وهو العلى العظيم) وقال (وهو الكبير المتعال) فكل شىء تحت قهره وسلطانه وعظمته لا إله إلا هو ولا رب سواه لأنه العظيم الذى لا أعظم منه العلى الذى لا أعلى منه ، الكبير الذى لا أكبر منه ، تعالى وتقدس وتنزه عزوجل عما يقول الظالمون المعتدون علوا كبيراً

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ

بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ * وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ ﴾

وهذا أيضا من الدلالة على قدرته وعظيم سلطانه وأنه يرسل الرياح فتثير سحابا فيمطر على الأرض الجرز التى لا نبات فيها وهى هامدة يابسة سوداء ممحلة (فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت) وقوله (فتصبح الأرض مخضرة) الفاء ههنا للتعقيب ، وتعقيب كل شيء بحسبه كما قال تعالى (فجلعنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة) الآية وقد ثبت فى الصحيحين أن بين كل شيئين أربعين يوما ومع هذا هو معقب بالفاء وهكذا ههنا قال (فتصبح الارض مخضرة) أى خضراء بعد يباسها[1] ومحولها . وقد ذكر عن بعض أهل الحجاز أنها تصبح عقب المطر خضراء فالله أعلم وقوله (إن الله لطيف خبير) أى عليم بما فى أرجاء الأرض وأقطارها وأجزائها من الحب وإن صغر لا يخفى عليه خافية فيوصل إلى كل منه قسطه من الماء فينبته به كما قال لقمان (يا بنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير) وقال (ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض) وقال تعالى (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين) وقال (وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين) ولهذا قال أمية بن أبى الصلت أو زيد بن عمرو بن نفيل فى قصيدته

وقولا له من ينبت الحب فى الثرى * فيصبح منه البقل يهتز رابيا

ويخرج منه حبه فى رءوسه * ففى ذاك آيات لمن كان واعيا

وقوله (له مافى السموات ومافى الأرض) أى ملكه جميع الأشياء وهو غنى عما سواه وكل شيء فقير إليه عبد لديه وقوله (ألم تر أن الله سخر لكم مافى الأرض) أى من حيوان وجماد وزروع وثمار كما قال (وسخر لكم مافى السموات وما فى الأرض جميعا منه) أى من إحسانه وفضله وامتنانه (والفلك تجرى فى البحر بأمره) أى بتسخيره وتسييره أى فى البحر العجاج وتلاطم الأمواج تجرى الفلك بأهلها بريح طيبة ورفق وتؤدة فيحملون فيها ما شاءوا من تجائر وبضائع ومنافع من بلد إلى بلد وقطر إلى قطر ويأتون بما عند أولئك إلى هؤلاء كما ذهبوا بما عند هؤلاء إلى أولئك مما يحتاجون إليه ويطلبونه ويريدونه (ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه) أى لو شاء لأذن للسماء فسقطت على الارض فهلك من فيها ، ولكن من لطفه ورحمته وقدرته يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ولهذا قال (إن الله بالناس لرءوف رحيم) أى مع ظلمهم كما قال فى الآية الأخرى (وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب) ، وقوله (وهو الذى أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إن الإنسان لكفور) كقوله (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون) وقوله (قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لاريب فيه) وقوله (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) ومعنى الكلام كيف تجحدون الله أندادا وتعبدون معه غيره وهو المستقل بالخلق والرزق والتصرف (وهو الذى أحياكم) أى خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئا يذكر فأوجدكم (ثم يميتكم ثم يحييكم) أى يوم القيامة (إن الإنسان لكفور) أى جحود

﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ * وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ * اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾

يخبر تعالى أنه جعل لكل قوم منسكا ، قال ابن جرير يعنى لكل أمة نبى منسكا قال : وأصل المنسك فى كلام العرب هو الموضع الذى يعتاده الإنسان ويتردد إليه إما لخير أو شر قال ولهذا سميت مناسك الحج بذلك لترداد الناس إليها

(١) المناسب يبسها لأنه يقال أرض يباس أى يابسة

وعكفوهم عليها ، فان كان كما قال من أن المراد لكل أمة نبي جعلنا منسكا فيكون المراد بقوله فلا ينازعنك في الامر أي هؤلاء المشركون وإن كان المراد لكل أمة جعلنا منسكا جعلا قدريا كما قال (ولكل وجهة هو موليها) ولهذا قال ههنا (هم ناسكوه) أي فاعلوه فالضمير ههنا عائد على هؤلاء الذين لهم مناسك وطرائق أي هؤلاء إنما يفعلون هذا عن قدر الله وإرادته فلا تتأثر بمنازعتهم لك ولا يصرفك ذلك عما أنت عليه من الحق ولهذا قال (وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم) أي طريق واضح مستقيم موصل إلى المقصود وهذه كقوله (ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك) . وقوله (وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون) كقوله (وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون) وقوله (الله أعلم بما تعملون) تهديد شديد ووعيد أكيد كقوله (هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيداً بيني وبينكم) ولهذا قال (الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون) وهذه كقوله تعالى (فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) الآية

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾

يخبر تعالى عن كمال علمه بخلقه وأنه محيط بما في السموات وما في الارض فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر وأنه تعالى علم الكائنات كلها قبل وجودها وكتب ذلك في كتابه اللوح المحفوظ كما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله قدر مقادير الخلائق قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء » وفي السنن من حديث جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال « أول ماخلق الله القلم قال له اكتب قال وما أكتب ؟ قال اكتب ما هو كائن فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا ابن بكير حدثني ابن لهيعة حدثني عطاء بن دينار حدثني سعيد بن جبير قال : قال ابن عباس خلق الله اللوح المحفوظ كمسيرة مائة عام ، وقال للقلم قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش تبارك وتعالى اكتب فقال القلم وما أكتب قال علمي في خلقي إلى يوم تقوم الساعة فجرى القلم بما هو كائن في علم الله إلى يوم القيامة فذلك قوله للنبي ﷺ (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض) وهذا من تمام علمه تعالى أنه علم الأشياء قبل كونها وقدرها وكتبها أيضاً فما العباد عاملون قد علمه تعالى قبل ذلك على الوجه الذي يفعلونه فيعلم قبل الخلق أن هذا يطيع باختياره وهذا يعصي باختياره وكتب ذلك عنده وأحاط بكل شيء علما وهو سهل عليه يسير لديه ولهذا قال تعالى (إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير)

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ * وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن المشركين فيما جهلوا وكفروا وعبدوا من دون الله ما لم ينزل به سلطانا يعني حجة وبرهانا كقوله (ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون) ولهذا قال ههنا (مالم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم) أي ولا علم لهم فيما اختلقوه وافتعلوه وإنما هو أمر تلقوه عن آبائهم وأسلافهم بلا دليل ولا حجة وأصله مما سول لهم الشيطان وزينه لهم ولهذا توعدهم تعالى بقوله (وما للظالمين من نصير) أي من ناصر ينصرهم من الله فيما يحل بهم من العذاب والنكال ثم قال (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات) أي وإذا ذكرت لهم آيات القرآن والحجج والدلائل الواضحات على توحيد الله وأنه لا إله إلا هو وأن رسله الكرام حق وصدق (يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا) أي يكادون يبادرون الذين يحتجون عليهم بالدلائل

الصحيحة من القرآن ويبسطون إليهم أيديهم وألسنتهم بالسوء (قل) أى يا محمد لهؤلاء (أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا) أى النار وعذابها ونكالها أشد وأشق وأطم وأعظم مما تخوفون به أو لياء الله المؤمنين فى الدنيا ، وعذاب الآخرة على صنيعكم هذا أعظم مما تنالون منهم إن نلتم بزعمكم وإرادتكم . وقوله (وبئس المصير) أى وبئس النار مقيلا ومنزلا ومرجعا وموئلا ومقاما (إنها ساءت مستقراً ومقاما)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

يقول تعالى منبها على حقارة الأصنام وسخافة عقول عابديها (يا أيها الناس ضرب مثل) أى لما يعبده الجاهلون بالله المشركون به (فاستمعوا له) أى أنصتوا وتفهموا (إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له) أى لو اجتمع جميع ما تعبدون من الأصنام والأنداد على أن يقدروا على خلق ذباب واحد ما قدروا على ذلك كما قال الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا شريك عن عمارة بن القعقاع عن أبى زرعة عن أبى هريرة مرفوعاً قال « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى فليخلقوا مثل خلق ذرة أو ذبابة أو حبة » وأخرجه صاحبا الصحيح من طريق عمارة عن أبى زرعة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « قال الله عزوجل ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى فليخلقوا ذرة فليخلقوا شعيرة) ثم قال تعالى أيضا (وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه) أى هم عاجزون عن خلق ذباب واحد بل أبلغ من ذلك عاجزون عن مقاومته والانتصار منه لو سلبها شيئا من الذى عليها من الطيب ثم أرادت أن تستنقذه منه لما قدرت على ذلك ، هذا والذباب من أضعف مخلوقات الله وأحقرها ولهذا قال (ضعف الطالب والمطلوب) قال ابن عباس : الطالب الصنم والمطلوب الذباب واختاره ابن جرير وهو ظاهر السياق وقال السدى وغيره: الطالب العابد والمطلوب الصنم ثم قال (ما قدروا الله حق قدره) أى ما عرفوا قدر الله وعظمته حين عبدوا معه غيره من هذه التى لا تقاوم الذباب لضعفها وعجزها (إن الله لقوى عزيز) أى هو القوى الذى بقدرته وقوته خلق كل شىء (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) (إن بطش ربك لشديد إنه هو يبدىء ويعيد) (إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وقوله (عزيز) أى قد عز كل شىء فقهره وغلبه فلا يمانع ولا يغالب لعظمته وسلطانه وهو الواحد القهار .

﴿ اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾

يخبر تعالى أنه يختار من الملائكة رسلا فيما يشاء من شرعه وقدره ومن الناس لإبلاغ رسالته (إن الله سميع بصير) أى سميع لأقوال عباده بصير بهم عليم بمن يستحق ذلك منهم كما قال (الله أعلم حيث يجعل رسالته) وقوله (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وإلى الله ترجع الأمور) أى يعلم ما يفعل برسله فيما أرسلهم به فلا يخفى عليه شىء من أمورهم كما قال (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا — إلى قوله — وأحصى كل شىء عددا) فهو سبحانه رقيب عليهم شهيد على ما يقال لهم حافظ لهم ناصر لجنابهم (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) الآية

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَجَاهِدُوا فِي

اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾

اختلف الأئمة رحمهم الله فى هذه السجدة الثانية من سورة الحج هل هى مشروع السجود فيها أم لا ؟ على قولين وقد قدمنا عند الأولى حديث عقبة بن عامر عن النبى ﷺ « فضلت سورة الحج بسجدتين فمن لم يسجدهما فلا يقرأهما » وقوله (وجاهدوا فى الله حق جهاده) أى بأموالكم وألسنتكم وأنفسكم كما قال تعالى (اتقوا الله حق تقاته) وقوله (هو اجتباكم) أى يا هذه الأمة الله اصطفاكم واختاركم على سائر الأمم وفضلكم وشرفكم وخصكم بأكرم رسول وأكمل شرع (وماجعل عليكم فى الدين من حرج) أى ما كلفكم مالا تطيقون وما ألزمكم بشىء يشق عليكم إلا جعل الله لكم فرجا ومخرجا ، فالصلاة التى هى أكبر أركان الإسلام بعد الشهادتين تجب فى الحضر أربعاً وفى السفر تقصر إلى اثنتين وفى الخوف يصليها بعض الأئمة ركعة كما ورد به الحديث وتصلى رجالا وركبانا مستقبلى القبلة وغير مستقبليها وكذا فى النافلة فى السفر إلى القبلة وغيرها والقيام فيها يسقط لعذر المرض فيصليها المريض جالسا فان لم يستطع فعلى جنبه إلى غير ذلك من الرخص والتخفيفات فى سائر الفرائض والواجبات ولهذا قال عليه السلام « بعثت بالحنيفية السمحة » وقال لمعاذ وأبى موسى حين بعثهما أميرين إلى اليمن « بشرا ولاتنفرا ويسرا ولا تعسرا » والأحاديث فى هذا كثيرة ولهذا قال ابن عباس فى قوله (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) يعنى من ضيق وقوله (ملة أبيكم إبراهيم) قال ابن جرير نصب على تقدير (ما جعل عليكم فى الدين من حرج) أى من ضيق بل وسعه عليكم كملة أبيكم إبراهيم ، قال ويحتمل أنه منصوب على تقدير الزموا ملة أبيكم إبراهيم ﴿ قلت ﴾ وهذا المعنى فى هذه الآية كقوله (قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا) الآية وقوله (هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا) قال الإمام عبد الله بن المبارك عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس فى قوله (هو سماكم المسلمين من قبل) قال الله عزوجل. وكذا قال مجاهد وعطاء والضحاك والسدى ومقاتل بن حيان وقتادة وقال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم (هو سماكم المسلمين من قبل) يعنى إبراهيم وذلك لقوله (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) قال ابن جرير وهذا لاوجه له لأنه من المعلوم أن إبراهيم لم يسم هذه الأمة فى القرآن مسلمين وقد قال الله تعالى (هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا) قال مجاهد : الله سماكم المسلمين من قبل فى الكتب المتقدمة وفى الذكر (وفى هذا) يعنى القرآن وكذا قال غيره ﴿ قلت ﴾ وهذا هو الصواب لأنه تعالى قال (هو اجتباكم وماجعل عليكم فى الدين من حرج) ثم حثهم وأغراهم على ماجاء به الرسول صلوات الله وسلامه عليه بأنه ملة أبيهم إبراهيم الخليل ثم ذكر منته تعالى على هذه الأمة بما نوه به من ذكرها والثناء عليها فى سالف الدهر وقديم الزمان فى كتب الأنبياء يتلى على الأحبار والرهبان فقال (هو سماكم المسلمين من قبل) أى من قبل هذا القرآن (وفى هذا) روى النسائى عند تفسير هذه الآية أنبأنا هشام بن عمار حدثنا محمد بن شعيب أنبأنا معاوية بن سلام أن أخاه زيد بن سلام أخبره عن أبى سلام أنه أخبره قال أخبرنى الحارث الأشعرى عن رسول الله ﷺ قال « من دعا بدعوى الجاهلية فانه من جثى جهنم » قال رجل يا رسول الله وإن صام وصلى قال « نعم وإن صام وصلى » فادعوا بدعوة الله التى سماكم بها المسلمين المؤمنين عباد الله ، وقد قدمنا هذا الحديث بطوله عند تفسير قوله (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) من سورة البقرة ولهذا قال (ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) أى إنما جعلناكم هكذا أمة وسطا عدولا وخيارا مشهودا بعد التكم عند جميع الأمم لتكونوا يوم القيامة (شهداء على الناس) لأن جميع الأمم معترفة يومئذ بسيادتها وفضلها على كل أمة سواها فلهذا تقبل شهادتهم عليهم يوم القيامة فى أن الرسل بلغتهم رسالة ربهم

والرسول يشهد على هذه الأمة أنه بلغها ذلك وقد تقدم الكلام على هذا عند قوله (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) وذكرنا حديث نوح وأمته بما أغنى عن إعادته ، وقوله (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أى قابلوا هذه النعمة العظيمة بالقيام بشكرها فأدوا حق الله عليكم فى أداء ما افترض وطاعة ما أوجب وترك ماحرم ومن أهم ذلك إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وهو الإحسان إلى خلق الله بما أوجب للفقير على الغنى من إخراج جزء نزر من ماله فى السنة للضعفاء والمحاويج كما تقدم بيانه وتفصيله فى آية الزكاة من سورة التوبة وقوله (واعتصموا بالله) أى اعتضدوا بالله واستعينوا به وتوكلوا عليه وتأيدوا به (هو مولاكم) أى حافظكم وناصركم ومظفركم على أعدائكم (فنعم المولى ونعم النصير) يعنى نعم المولى ونعم الناصر من الأعداء، قال وهيب بن الورد يقول الله تعالى : ابن آدم اذكرنى إذا غضبت أذكرك إذا غضبت فلا أمحقك فيمن أمحق ، وإذا ظلمت فاصبر وارض بنصرتى فان نصرتى لك خير من نصرتك لنفسك . رواه ابن أبى حاتم والله أعلم. آخر تفسير سورة الحج ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة المؤمنون مكية ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِى صَلَوٰتِهِمْ خَٰشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الْوَٰرِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق أخبرنى يونس بن سليم قال أملى على يونس بن يزيد الأيلى عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن بن عبد القارى قال سمعت عمر بن الخطاب يقول كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحى يسمع عند وجهه كدوى النحل فلبثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال « اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وأرضنا — ثم قال — لقد أنزل على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة » ثم قرأ (قد أفلح المؤمنون) حتى ختم العشر ، ورواه الترمذى فى تفسيره والنسائى فى الصلاة من حديث عبد الرزاق به ، وقال الترمذى منكر لانعرف أحدا رواه غير يونس بن سليم ويونس لانعرفه ، وقال النسائى فى تفسيره أنبأنا قتيبة بن سعيد حدثنا جعفر عن أبى عمران عن يزيد بن بابنوس قال قلنا لعائشة أم المؤمنين كيف كان خلق رسول الله ﷺ ؟ قالت : كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فقرأت (قد أفلح المؤمنون — حتى انتهت إلى — والذين هم على صلواتهم يحافظون) قالت هكذا كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى عن كعب الأحبار ومجاهد وأبى العالية وغيرهم لما خلق الله جنة عدن وغرسها بيده نظر اليها وقال لها تكلمى فقالت (قد أفلح المؤمنون) قال كعب الأحبار لما أعدلهم من الكرامة فيها وقال أبو العالية فأنزل الله ذلك فى كتابه ، وقد روى ذلك عن أبى سعيد الخدرى مرفوعا فقال أبو بكر البزار حدثنا محمد بن المثنى حدثنا المغيرة بن مسلمة حدثنا وهيب عن الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال خلق الله الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وغرسها وقال لها تكلمى فقالت (قد أفلح المؤمنون) فدخلتها الملائكة فقالت طوبى لك منزل الملوك ، ثم قال وحدثنا بشر بن آدم وحدثنا يونس بن عبيد الله العمرى حدثنا عدى بن الفضل حدثنا الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد عن النبى ﷺ قال « خلق الله الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك — قال البزار ورأيت فى موضع آخر فى هذا الحديث —